جميل حمداوي

الموريسكيون في منطقة الريف





المؤلف: الدكتور جميل حمداوي

الكتاب: **الموريسكيون في منطقة الريف**

الطبعة الأولى 2019

دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني

الناظور- تطوان/المملكة المغربية

الهاتف:0536333488/0672354338

الإهــداء

أهدي هذا البحث التاريخي إلى والدي العزيزين، داعيا الله أن يغفر لهما ذنوبهما، ويدخلهما جنة الفردوس.آمين يارب !

الفهرس

المقدمة

استقر المسلمون بالأندلس ثمانية قرون ، منذ أن فتحها الأمويون في عهد عبد الملك بن مروان، بقيادة طارق بن زياد سنة 92هـ، و إمرة موسى بن نصير، فأنشأوا فيها حضارة عمرانية متميزة لم يشهدها التاريخ من قبل، ثم ازدهرت فيها حلقات العلم والثقافة والفكر، إلى أن أصبحت الأندلس البوابة الحضارية الأولى لأوروبا في العصر الوسيط، فانفتحت على باقي الحضارات الأخرى. إلا أن المسلمين لم يحافظوا على وحدتهم وعقيدتهم وتماسكهم، فاتخذوا مسلك البذخ والترف والمجون، و اتبعوا سبيل الشهوات والغوايات والفتن والصراع فيما بينهم ، ولاسيما في عهد ملوك الطوائف الذين مالوا إلى حياة اللهو والعبث والتقاعس عن الجهاد، ثم انغمسوا في حروب أهلية طائشة، فتكالب عليهم النصارى من كل حدب وصوب، ثم أوقعوهم في هزائم عدة، إلى أن طردوهم من الأندلس بصفة نهائية[1].



---

[1] - جميل حمداوي : (هجرة الأندلسيين إلى منطقة الريف من المغرب الأقصى)، **مجلة التاريخ العربي**، الرباط، المغرب، العدد58، خريف 2011م، ص:183.

وبعد ذلك، أقيمت محاكم التفتيش المسيحية بعد سقوط آخر مملكة في الأندلس ألا وهي مملكة غرناطة التي سقطت بين يدي ملكي إسبانيا فرناندو الثالث وإيزابيلا سنة897هـ. ويعد **أبو عبد الله الصغير**[2] ؛ حاكم مملكة غرناطة المعروفة بقصورها الحمراء، آخر ملوك الإسلام بالأندلس، وقد كان حاكم بني نصر أو بني الأحمر[3]. وقد عاملت تلك المحاكم الدينية الظالمة معظم المسلمين معاملة وحشية غير إنسانية، بحرقهم وتعذيبهم والتنكيل بهم بغية تنصيرهم وتعميدهم قسرا وضغطا، أو طردهم من الأندلس جبرا وعنوة .



---

[2] - هو **أبو عبد الله الصغير** محمد بن علي بن سعد بن علي بن يوسف- (1460 1527) ، كان حاكما لغرناطة، وكان آخر حكام الأندلس، ويعد أول حاكم موريسكي يطرد من الأندلس، بعد أن سلم مفاتح غرناطة إلى فرديناند وإيزابيلا حاكمي قشتالة وأراغون يوم 2 يناير 1492م. وقد سماه الإسبان el chico (أي الصغير) و Boabdil(أبو عبديل)، بينما سماه أهل غرناطة (**الزغابي**) أي المشؤوم أو التعيس. وقد طرد إلى مليلية .وبعد ذلك، توجه إلى فاس في عهد الوطاسيين إلى أن توفي هناك عن عمر يناهز خمسا وسبعين سنة.

[3] - تضم مملكة بني الأحمر جيان ووادي أش وباجة وألمرية وغرناطة العاصمة. انظر جمال عبد الكريم: **الموريسكيون: تاريخهم وأدبهم**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، مصر، د.ت، ص:11.

صورة تبين حرق المسلمين من قبل محاكم التفتيش

لذا، ينطلق بحثي من فرضية رئيسة تتمثل في أن الموريسكيين قد تواجدوا بمنطقة الريف بعد مرحلة الطرد والترحيل والتهجير القسري، وبالضبط بعد سقوط غرناطة. كما تواجد الريفيون في الأندلس، ولاسيما أن طارق بن زياد قد فتح الأندلس سنة 92هجرية (711م) بجيش بربري يقدر **باثني عشر ألف جندي**[4]، قد " انتخبوا من خيار أهل المغرب، اعتبارا لما فيهم من شجاعة مفرطة وإقدام.ومن المعلوم أنهم ينحدرون من مجمل قبائل البربر على امتداد ديارهم من وادي شلف إلى البحر المحيط، ومن سواحل الريف إلى السوس الأقصى.[5]"

ومن ثم، فلابد أن يكون الريفيون من بين هؤلاء الجنود الشباب الأقوياء. كما أن إمارة ذي النون بالأندلس، في عهد ملوك الطوائف، كانت تعج بكثيرمن الأمازيغين والبرابرة. وكان زعيم الإمارة يحيى بن موسى بن ذي النون من هوارة من البربر.ويعني هذا أن بني ذي النون أسرة بربرية من هوارة. وقد كانت عصمة ملكهم هي طليطلة.ومن هنا، فلقد كانت إمارة ذي النون بربرية بشكل خاص، ويمكن أن يتواجد فيها برابرة الريف بشكل من الأشكال. كما هاجر

---

[4] - ابن عذاري: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، نشر كولان بروفنسال، بيروت، لبنان، طبعة 2،6/1980؛ وابن عبد الحكم: **فتوح أفريقية والأندلس**، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت، لبنان،ص:71 ؛ والمقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباسن بيروت، لبنان، طبعة 1968م، 231/1؛ وابن الكردبوس: **قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ضمن كتاب تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط**، تحقيق أحمد مختار العبادي، مدريد، إسبانيا، طبعة 1971م، ص: 46؛ وابن كثير: **البداية والنهاية** ، تحقيق عبد الرحمن اللاذقي ومحمد غادي بيضون، بيروت، لبنان، طبعة 2002م، 102/9؛ وابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، بيروت، لبنان، طبعة 1994م، 205/3.

[5] - أحمد الطاهري: **بلاد الريف وحاضرة نكور من فجر التاريخ إلى أنوار الإسلام**، بوبليديسيا، إشبيلية، إسبانيا، الطبعة الأولى سنة 2013م، ص:83.

كثير من الريفيين إلى الأندلس، كما هو حال الشاعر ابن دراج القسطلي الذي قال عنه المؤرخ المغربي أحمد الطاهري:" يتعلق الأمر بشاعر أندلسي الموطن عربي الثقافة صنهاجي بالنسب، إذ تنحدر أصله من بلاد الريف. ولعل في شهرته الواسعة ورفعة مكانته وعلو درجنته ما يقدم مثالا عن دور المغرب في تجسيد البعد الكوني للثقافة العربية، في تجربة تاريخية فريدة، لم تفلح الأمم الحديثة إلى اليوم في ملامسة مستوياتها.[6]"



ولقد استقر أهل الريف الذين ينتمون إلى نفزة [7] في مختلف ربوع الأندلس، وخاصة بين الجلالقة ومدينة قرطبة. وفي هذا، يقول أحمد الطاهري:" ومادام أمير المغرب طارق بن زياد الذي أصبح أيضا أميرا على الأندلس **نفزي النسب**، كما تم توضيح ذلك في مناسبات سابقة، فمن الطبيعي أن تحظى بطون نفزة المنحدرة من بلاد الريف بمكانة مرموقة ضمن خريطة الأندلس القبلية. وهو ما أشار إليه أحد

---

[6] ـ أحمد الطاهري: **ابن دراج القسطلي شاعر الأندلس ولسان الجزيرة الأمازيغي الأصول**، منشورات تيفراز 8، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،الطبعة الأولى 2010م، ص:7.

[7] ـ تطلق على قبيلة أمازيغية بمنطقة الريف.

قدامى الجغرافيين المشارقة بقوله في عبارة جامعة:" فنفزة ..منهم بالأندلس بين الجلالقة وبين مدينة قرطبة".ويخيل إلينا أن طارق بن زياد قد تعمد توطين بني عشيرته من أهل الريف- وفق إستراتيجية مدروسة- عبر شبكة قبلية متصلة الحلقات، انطلاقا من بلاد نكور نحو مالقة عبر إسطبة فقرطبة في اتجاه طليطلة إلى تخوم بلاد جليقية.

ولعل في ذلك ما يفسر دور المجموعة القبلية النفزية التي غدت بمثابة العمود الفقري المتحكم في شبه جزيرة الأندلس.وثمة معلومات كاشفة عن إمساك قبائل نفزة بكافة المناطق الممتدة غرب البلاد، فيما يعرف بإكستريماذورا التي كانت مع إقليم لوسيتانيا الذي يطابق بلاد البرتغال الحالية بمثابة منطقة نفوذ واقعة تحت سيطرة معاقل النفزيين المتناثرة بتلك النواحي، حسب ماورد مثبتا ضمن حوليات أستوريش.

ومن الطبيعي أن تحتضن كورة رية (مالقة) وما يصاقبها جماعات البربر المنتسبين في بطون نفزة. ويعتبر الزجاليون المنحدرون من بني يطفت من نفزة أحد أشرف بيوتات البربر وأعظمهم شأنا بالأندلس.ومن المعلوم لدى أهل البلاد أنهم كانوا قديما من عامة البتر من البرابر، أصولهم من ناحية تاكرنا لم يحفظ لأولهم نباهة."[8]

ويعني هذا كله أن أهل الريف كانت لهم مكانة كبيرة في الأندلس، ولاسيما أن طارق بن زياد ريفي النسب؛ مما أهل هؤلاء الريفيين ليحتلوا المناطق الخصبة والمهمة في إسبانيا من أجل الاستقرار والسكن والتضامن ضمن اتحاد دفاعي مستقبلي إستراتيجي مشترك.

---

[8] - أحمد الطاهري: **بلاد الريف وحاضرة نكور من فجر التاريخ إلى أنوار الإسلام،** ص:85.

ولقد توافدت قبائل البربر على الأندلس جماعات وجماعات من أجل بناء حياة جديدة بهذه المنطقة الجذابة جغرافيا.وفي هذا، يقول أيضا أحمد الطاهري:" ولم تتوقف قبائل البربر عن التدفق بأعداد متزايدة للاستقرار بالأندلس بعد استكمال فتحها من طرف طارق بن زياد. وهو ما أشار إليه رواة الأخبار بقولهم: " فما أن تسامع الناس من أهل العدوة بالفتح على طارق بالأندلس وسعة المغانم فيها، فأقبلوا نحوه من كل وجه، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر فلحقوا بطارق".

ويتعلق الأمر على وجه التحديد بسكان الريف من نفزة وصنهاجة الذين أبحروا في اتجاه سواحل إلبيرة ورية وتاكرنا وبجانة.بينما آثر المنحدرون من غمارة المصمودية الالتحاق- فيما يبدو- بعشائرهم في غرب الأندلس." [9]

وبعد نحو أربعة عقود، " هب أهل نكور لدعم عبد الرحمن الداخل، في ثالث أكبر موجة قبلية نفزية تستقر بالأندلس، ابتداء من سنة 138 هجرية (755م)، وهو ما أثبته شيخ المؤرخين الأندلسيين بقوله متحدثا عن هذا الأمير الأموي:" اعتضد بالبرابر ووجه عنهم إلى بر العدوة فأحسن لمن وفد عليه إحسانا رغب من خلفه في المتابعة، قال ابن حيان: واستكثر منهم ومن العبيد فاتخذ أربعين ألف رجل" [10] .

ولايخالجنا شك في أن المقصود ضمن هذا السياق بربر نفزة، إذ عليهم كان تعويل عبد الرحمن بن معاوية الداخل في إنشاء دولته بالأندلس.أما العبيد فالمقصود بهم الصقالبة خصيانا وفحولا الذين

---

[9] - أحمد الطاهري: نفسه، ص:89.
[10] - المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 36/3.

شرع في استقدامهم أيضا ليتخذ منهم الخدم والحشم في دار إمارته بقرطبة."[11]

ويعني هذا وجود ثلاث هجرات إلى حد الآن قام بها بربر الريف نحو الأندلس، الأولى مع طارق بن زياد لفتح الأندلس، والثانية تتمثل في هجرة الريفيين لمساعدة طارق بغية الحصول على الغنائم بعد فتح الأندلس، والثالثة من أجل مساعدة عبد الرحمن الداخل لبناء دولته الأموية بالأندلس. وفيما يخص الهجرة الرابعة، " فقد انتقلت إلى الأندلس ابتداء من سنة 300 هجرية (912م) في **إمارة عبد الرحمن الناصر** الذي اتخذ منهم بطانته وحرسه في مواجهة النوائب التي كادت أن تعصف بالإمارة الأموية.ويتعلق الأمر بالفرقة الملحقة بدار الإمارة المعروفة في المصادر الأندلسية بـ" الطنجيين" نسبة لبلاد طنجة الممتدة- كما هو معلوم- على طول سواحل بلاد الريف.وباستثناء هؤلاء الطنجيين، فمن المعلوم أن عبد الرحمن الناصر قد ظل طوال نصف قرن من حكمه ممتنعا عن استقدام غيرهم من بطون البربر احتراسا من مكايدهم..غير مستدع لهم إلى العبور إليه."[12]

ويعني هذا أن بربر الريف كانوا يعدون من المهارجين الأوائل الذين هاجروا إلى الأندلس في القرون الأربعة الأولى للهجرة. وقد ساهموا في بناء أركان الدولة الأموية بالأندلس.أي: كان لهم دور مركزي مهم في توطيد دعائم الفتح الإسلامي بهذه المنطقة. ومن هنا، فسيكون لديهم صفحات مهمة في تاريخ الأندلس.

وعليه، فلقد هاجر الريفيون إلى الأندلس، ونزح الموريسكيون الأندلسيون إلى الريف.ويعني هذا أن ثمة عملية تأثير وتأثر بطبيعة

---

[11] - أحمد الطاهري: نفسه، ص:89.

[12] - أحمد الطاهري: نفسه، ص:89-90.

الحال. أي: لقد ترك الموريسكيون في منطقة الريف آثارا مختلفة.وفي الوقت نفسه، تأثروا بأهل الريف في مجالات وميادين مختلفة.بمعنى أن هناك عملية مثاقفة من جهة، وعملية تأثير وتأثر من جهة أخرى.

ومن هنا، فلقد اخترنا المنهج التاريخي الذي يركز على تاريخ الموريسكيين بمنطقة الريف، بتجميع مختلف الوثائق والبيانات والمعطيات والنصوص والمدونات والمعلومات التاريخية المتعلقة بتلك الظاهرة الموريسكية، في مختلف مراحلها التحقيبية والتزمينية من أجل قراءتها، وتوصيفها، وتفسيرها، وتأويلها. فضلا عن ذلك، فلقد اعتمدنا على مفهوم المثاقفة (Acculturation) ، في سياقه الأنتروبولوجي، لمعرفة آليات التثاقف ومجالاته من ناحية، والتعرف إلى مختلف الطرائق التي بها يتحقق تبادل الخبرات والتجارب الإنسانية من ناحية أخرى.

وفيما يخص المراجع والمصادر المتعلقة بتاريخ الموريسكيين في منطقة الريف، فهي تكاد تكون شبه منعدمة، ولاسيما أن مصادر تاريخ الموريسكيين بالمغرب قليلة جدا، فما بالنا بتاريخ الموريسكيين في منطقة الريف؟ وفي هذا، يقول محمد قشتيليو في كتابه (**محنة الموريسكوس في إسبانيا):**"إن هذا الموضوع يصعب على الباحث في إيجاد مراجع باللغة العربية، لأن المؤرخين العرب لم يعطوه حقه من الاهتمام مع أن شعبا عربيا مسلما بقي يكافح نحو قرن وربع من أجل إسلاميته وعروبته ووجوده إلى أن غلب على أمره، أما المؤرخون الأجانب، وعلى الخصوص الإسبان، فقد اهتموا به وكتبوا منه الشيء الكثير، وقد اعتمدنا على مراجعهم في هذا البحث لاعتقادي أن الاعتماد عليهم أفضل من غيرهم؛ لأنهم مسيحيون، ولابد من أن يكتبوا بدافع من النزعة

المسيحية. وعلى الرغم من ذلك، فإن جلهم لم يخف الحقيقة التي تروي عما قاساه المسلمون على يد بني جلدتهم، كما بحثنا في المكتبات عما يمكن أن يوجد من مخطوطات أولئك المطرودين فلم نعثر إلا على القليل النادر منها ما يشمل بعض كتابات وتعاويذ وأدعية في مكتبات مدريد والإسكوريال، ومنها ماهو مكتوب بالمسمى عند الإسبان " كتابة الخميادو (Al Jamiado) (الأعجمية) وهي الإسبانية مكتوبة بالحروف العربية، ولكنها ليست مصادر يعتمد عليها في تنوير السبيل للباحث، وإعطائه فكرة تاريخية شاملة عن حياة تلك الأمة المندثرة، اللهم إلا بعض مخطوطات تشمل بعض صفحات تعد على رؤوس الأصابع عثرت عليها بالخزانة الكتانية بفاس بخط يد موريسكي هاجر من إسبانيا ودون بعض معلومات عن حياته الخاصة بها قبل هجرته إلى المغرب، فنقلتها بنصها ونشرتها في هذا البحث."[13]

ويعني هذا أن الباحث المغربي محمد قشتيليو قد وجد صعوبات في جمع المصادر العربية والأجنبية التي تتعلق بالموريسكوس، ولكنه لم يجد ما يشفي غليله في هذا المجال إلا معلومات قليلة جدا تعد على الأصابع.وإذا كان هذا واقع تاريخ الموريسكيين حسب محمد قشتيليو، فماذا سنقول عن تاريخ الموريسكيين في منطقة الريف؟ فتاريخ منطقة الريف إلى يومنا هذا مايزال تاريخا غامضا لم يستكشف بعد في شكل دراسات علمية آنية ودقيقة وموضوعية، على الرغم من وجود بعض الدراسات العلمية الجادة ، كما يبدو ذلك واضحا عند الحاج العربي الورياشي[14]، وجرمان عياش[15]، والطيب

---

[13] - محد قشتيليو: محنة **الموريسكوس في إسبانيا**، الطبعة الأولى سنة 1980م، صص:2-3.

[14] - الحاج العربي الورياشي: **الكشف والبيان عن سيرة بطل الريف الأول سيدي محمد أمزيان** ، المطبعة المهدية، تطوان، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1976م.

بوتبقالت[16]، وعبد العزيز خلوق التمسماني[17]، وعلي الإدريسي[18]، وحسن الفكيكي[19]، وأحمد الطاهري[20]، وبرومي عبد الوهاب ويوسف السعيدي[21]، ودافيد مونتكومري هارت[22] ، وعبدالرحمن الطيبي[23]، ومحمد أونيا[24]، ورشيد يشوتي[25]، و مصطفى الغديري[26]، وغيرهم كثير...

---

[15] - جرمان عياش: **أصول حرب الريف**، ترجمة محمد الأمين البزاز وعبد العزيز التمسماني خلوق، نشر SMER ، الدار البيضاء،المغرب، طبعة 1992م.

[16] - الطيب بوتبقالت: **عبد الكريم الخطابي، حرب الريف والرأي العام العالمي**، منشورات شراع، طنجة، رقم الكتاب الشهري 14، أبريل 1997م.

[17] - عبد العزيز خلوق التمسماني: **مقالات ووثائق حول تاريخ المغرب المعاصر**، منشورات سليكي إخوان، طنجة، المغرب.

[18] - علي الإدريسي: **عبد الكريم الخطابي، التاريخ المحاصر**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2007م.

[19] - حسن الفكيكي: **المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلية**، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1997م.

[20] - أحمد الطاهري: **بلاد الريف وحاضرة نكور**، مطبعة بوبليديسا، إشبيلية، إسبانيا، الطبعة الأولى سنة 2013م.

[21] - وبرومي عبد الوهاب ويوسف السعيدي: **إقليم كرت: التاريخ والثقافة**، مكتبة الشيخ حسن، وجدة، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2009م.

[22] - دايفيد مونتكومري هارت : **آيث ورياغل**، الجزء الثاني، ترجمة: محمد أونيا وعبد المجيد عزوزي وعبد الحميد الرايس، منشورات جمعية صوت الديمقراطيين المغاربة بهولندا، طبعة 2010م.

[23] - عبد الرحمن الطيبي: **الريف قبل الحماية**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2008م.

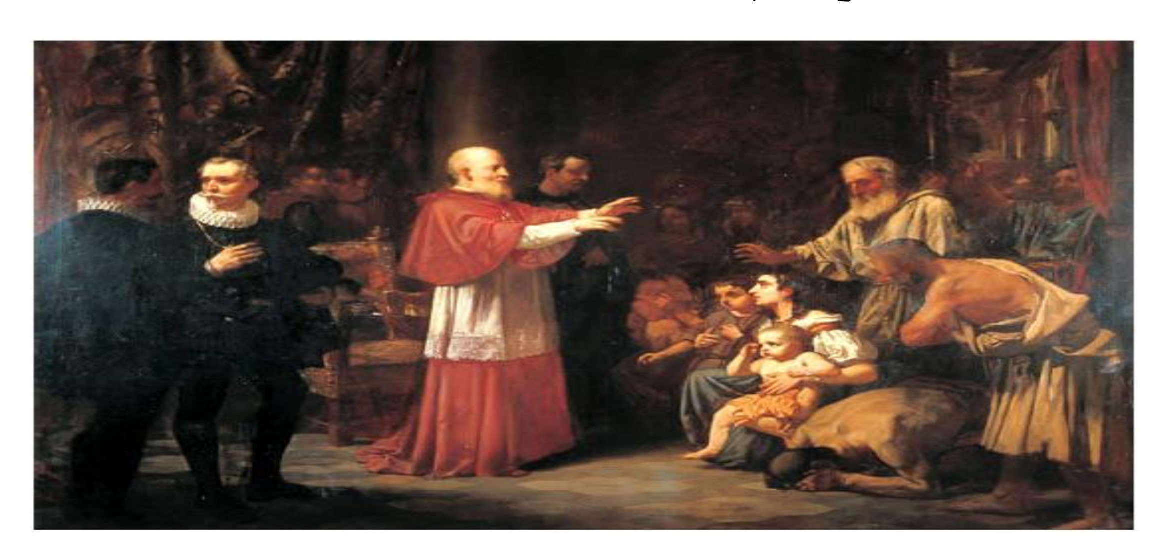
[24] - محمد أونيا: **عبد الكريم الخطابي وأسطورة الانفصال (1921-1926م)**، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2018م.

[25] **- رشيد يشوتي: إسبانيا والريف والشريف محمد أمزيان (1909-1912م)،** منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي- جامعة محمد الخامس السويسي الرباط،طبعة 2011م.

[26] - مصطفى الغديري: **الريف موضوعات وقضايا**، مطبعة جسور، وجدة، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2009م.

أما فيما يخص تاريخ الموريسكيين في منطقة الريف، فلم نجد سوى إشارات قليلة في كتابي (**المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلية**) لحسن الفكيكي و(**إقليم كرت: التاريخ والثقافة**) لبرومي عبد الوهاب ويوسف السعيدي، وتبقى تلك الإشارات غير كافية لبناء تاريخ الموريسكيين في منطقة الريف بشكل علمي دقيق.ويقول غييرمو غوثاليبيس بوستو (Guillermo Gozalbes Busto) عن الفقر الشديد الذي يعانيه المستعربون في دراسة الموريسكيين في المنفى :" ربما اليوم، ترجع قلة الاهتمام بهذه الدراسة إلى قلة المصادر، فلايوجد في التاريخ الإسباني، ولا المغربي، عناصر كافية تساعدنا على معرفة كيف تطورت حياة الموريسكيين في وطنهم الجديد.

يجب، إذاً، أن نستفيد من أي توثيق، وإن بدا لنا غريبا، بهدف استخراج المعلومات التي تجعلنا نكون مخططا سليما، لنظرة صحيحة للموضوع الذي يشغلنا[27]."



تعميد الموريسكيين

---

[27] - غييرمو غوثاليبيس بوستو: **الموريسكيون في المغرب**، ترجمة: مروة محمد إبراهيم، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى سنة 2005م، ص:150-151.

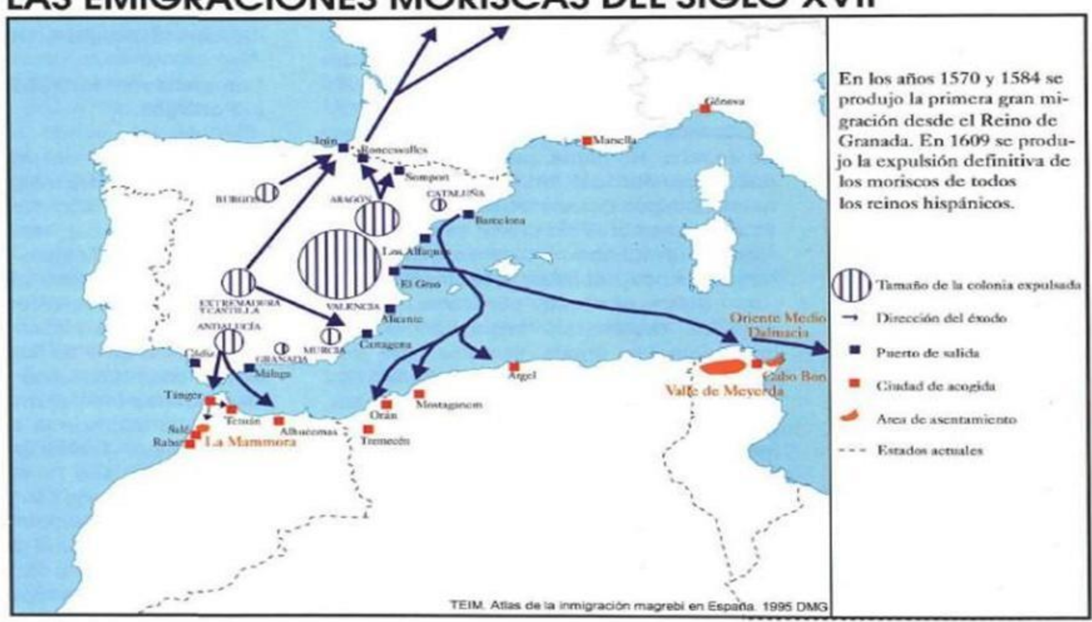
وهكذا، فلقد نزح الكثير من الأندلسيين والموريسكيين[28] واليهود ، وخاصة بعد سقوط غرناطة، نحو بلدان المغرب العربي، ومصر، والشام، والأستانة عاصمة الدولة العُثمانيَّة، وفرنسا، وإيطاليا، وبعض دول أمريكا اللاتينية كالبيرو والمكسيك. في حين، توفي الكثير منهم بسبب مشقة السفر، ونتيجة أهوال البحر، وتعنت المحاربين النصارى، وأيضا بسبب التنكيل الذي تعرضوا له من قبل قطاع الطرق. كما اتجه الكثير منهم حيال الثغور والمدن المغربية كتطوان، وطنجة، وأصيلة، والقصر الكبير، والعرائش، وشفشاون، وسبتة، والقصر الصغير، وفاس، ومكناس، وسلا، والرباط، ومراكش، وآسفي، وأزمور، وأنفا... كما هاجروا أيضا إلى منطقة الريف التي تشمل اليوم أربعة أقاليم كبرى هي: مليلية، والحسيمة، والناظور، والدريوش؛ أو تشمل - جغرافيا- الريف الشرقي، والريف الأوسط، والريف الغربي. ومن ثم، فلقد اختاروا الاستقرار بالخصوص في مليلية، وبادس، وغساسة، وقبائل غمارة[29].

---

[28] - **الموريسكيون** هم مزيج بين العرق العربي والأمازيغي والأروبي ، وقد استقروا في قشتالة، وأراغون، وبلنسية، وغرناطة.

[29] - انظر: **تاريخ المغرب، تحيين وتركيب**، إشراف وتقديم محمد القبلي، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، المغرب، طبعة 2012م.





نزوح الموريسكيين في القرن 17 الميلادي

ولقد وصل عدد النازحين الأندلسيين المُرحلين إلى المغرب، بعد سقوط غرناطة، حوالي **150 ألف** مُهجّر موريسكي. بيد أن الباحث المغربي محمد قشتليو يرى أنه " من الصعب جدا تحديد عدد الموريسكيين الذين هاجروا من إسبانيا إلى المغرب، وذلك نظرا لكونهم طردوا في فترات متعددة، وكذلك هناك من أحصي من طرف السلطات الإسبانية عند الطرد، لكنه لم يصل إلى المغرب بعد تجريده من أمتعته وإلقائه في البحر من طرف أصحاب المراكب، كما أن هجرات الموريسكيين كانت في بعض الأحيان اختيارية.[30]"

وهناك من يقول : " إن العدد الإجمالي للموريسكيين الذين وصلوا إلى المغرب فقد بلغ **40ألفا** بقي أغلبهم على مشارف سبتة وتطوان وغيرها من الموانىء القريبة من مضيق جبل طارق.وقد جَنّد **المولى زيدان** عدة آلاف من الموريسكيين في حربه ضد أخيه **المولى الشيخ**، وعندما هُزم هرب الموريسكيون إلى الجبال، أما

[30] - محمد قشتيليو: نفسه، تطوان، 2001م، ص:28.

الذين لم يشتركوا في الحرب، فقد اختلطوا بالسكان المدنيين في طنجة، وتطوان، والعيون، وفاس، وسلا، والرباط."[31]

وهناك من يقول : إن عددهم **ستون ألف(60.000)** كما في المصادر الموريسكية حسب محمد رزوق في كتابه (**الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 19-17)**[32].

ويعني هذا أن ثمة اختلافا كبيرا بين الباحثين والمؤرخين في تحديد عدد المهجرين إلى المغرب بسبب قلة الوثائق، وعدم دقة المعلومات التاريخية.

وعند وصول المورسكيين إلى المغرب، فلقد تفرقوا في نواحيها وبقاعها وضواحيها. فهناك من اختار الجبال هربا من سخط سلاطين المغرب آنذاك **كالسلطان السعدي مولاي الشيخ**.وهناك من اختار الاستقرار بالمدن، ولاسيما إذا كان قد عاش حياته من قبل في المدن الأندلسية.في حين، اختار الفلاحون الموريسكيون أن يعيشوا في البوادي المغربية.وفي هذا، يرى أحمد المقري، في كتابه (**نفح الطيب)**،" أن أهل الأندلس تفرقوا بعد الفتنة في المغرب الأقصى، **فمال أهل البادية إلى ما اعتادوه** ، فاستنبطوا المياه، وغرسوا الأشجار، وأحدثوا الأرحى الطاحنة بالماء، وعلّموا أهل البادية أشياء لم يكونوا يعلمونها؛ فكثرت مستغلاتهم، وعمت الخيرات، ومال **أهل الحواضر إلى المدن** فاستوطنوها، ففاق أهل الصنائع أهل البلاد ، وصيروهم أتباعا لهم متصرفين بين أيديهم، ومتى دخلوا في

---

[31] - نجيب الجباري: (الموريسكيون في المغرب من خلال الدراسات الإسبانية)، مجلة **التاريخ العربي**، الرباط، المغرب، العدد58، خريف2011م، ص:341.

[32] - محمد رزوق: **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 19-17**، مطبعة أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الرابعة 2014م، ص:153.

شغل عملوه في أقرب مدة، وأفرغوا فيه من أنواع الحذق والتجويد."[33]

ويعني هذا أن أهل المدن من الموريسكيين قد استقروا بالحواضر المغربية.في حين، استقر أهل الفلاحة منهم في البوادي المغربية وقراها المختلفة.

وقد جاء هؤلاء من بلنسية، ومنطقة الأندلس، وقشتالة، ومالقا، ومرسية، وغرناطة، وبلنسية، ومرسية، وإشبيلية، وأراجون، وكطالونيا، وقادس...



صورة تسليم غرناطة

إذاً، ما سياق نزوح الأندلسيين والموريسكيين إلى منطقة الريف؟ وما الأماكن الريفية التي استقر بها الأندلسيون ؟ وما أهم هذه الأسر

---

[33] - أحمد المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، الجزء الثاني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيرت، لبنان، طبعة 1968م، ص:764.

الأندلسية التي تفرقت في مختلف ربوع الريف؟ تلكم هي الأسئلة التي سوف نتوقف عندها في كتابنا المتواضع هذا.

المدخل:

مصادر تاريخ الموريسكيين

ثمة دراسات عديدة تناولت تاريخ الأندلسيين والموريسكيين بصفة عامة[34]، وتاريخ الموريسكيين بالمغرب بصفة خاصة ، ويمكن حصرها في اللائحة التالية:

المطلب الأول: المصادر القديمة

1-أحمد التلمساني المقري: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، الجزء الرابع، بيروت، لبنان، طبعة 1968م.

2- إبراهيم غانم: **العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع**، تعريب أحمد بن قاسم الحجري 1638م، نسخة مخطوطة بالرباط عدد87ج.

3- ابن أبي دينار محمد : **المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس**، تحقيق محمد همام، المكتبة العتيقة، تونس 1967م.

4- ابن الخطيب: **الإحاطة فى أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، مصر، طبعة 1973-1978م 4أجزاء.

5- ابن الخطيب: **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق محمد كمال شبانة، الرباط، المغرب، طبعة 1977م.

6- أحمد بن قاسم الحجري: **ناصر الدين على القوم الكافرين**،مخطوط دا رالكتب المصرية بالقاهرة عدد1634 ت.

7- أحمد الونشريسي: **فى بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر**،نشر حسين مؤنس هذه الفتوى عن مخطوط الإسكوريال رقم 1758 (ورقة 95-83) بمجلة الدراسات الإسلامية بمدريد،

---

[34] - أحصت الباحثة مارتيني ريفيار (M.Ravillard) أكثر من 2000عنوان في شكل مصادر ودراسات.انظر أطروحتها الجامعية:

Bibliographie commenté des Morisques, Université d’Alger, 1979.

المجلد الخامس 1957، العدد21، ص191-129 ، وهي توجد بالمعيار، 133-2:119.

8- البكري: **المسالك والممالك**، الجزء الخاص ببلاد المغرب، تحقيق: زينب الهكاري، مطبعة رباط نيت، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى 2012م.

9- الحسن بن محمد الوزان الفاسي: **وصف أفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة سنة 1983م.

10-العباس بن إبراهيم: **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية بالرباط، المغرب، 1974-1983، ثلاثة أجزاء.

11- عبد العزيز الزياتي: **الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة**، تحقيق الأمين عبد الله،طبعة 1055هـ.

12- عبد العزيز الفشتالي: **مناهل الصفا**، تحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة،المغرب.

13- مؤلف مجهول: **أخبار مجموعة في فتح الأندلس، وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم**، تحقيق : إبراهيم الأبياري، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 1981م

14- مؤلف مجهول: **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**، تعليق الفريد البستاني، مكتبة الثقافية الدينية، بورسعيد مصر ، الطبعة الأولى 2002م.

15- محمد الأفراني: **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، حقق : عبد اللطيف الشاذلي،مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى 1998م.

16- محمد ابن الأزرق : **بدائع السلك في طبائع الملك**، دراسة وتحقيق محمد بن عبد الكريم ، تونس، طبعة 1977م، جزآن.

17- محمد بن عبد الرفيع: **الأنوار النبوية في آباء خير البرية**، مخطوطة بالرباط، المغرب، عدد1238ك.

18- محمد بن عبد الوهاب الغساني الأندلسي: **رحلة الوزير في افتكاك الأسير**، الرباط، الطبعة الأولى سنة 1965م.

19- محمد الطالب بن الحاج: **رياض الورد إلى من انتمى إليه هذا الجوهر الفرد**،مخطوط خ.ع.بالرباط عدد2313ك.

المطلب الثاني: المصادر الحديثة

❶ علي مظهر: **محاكم التفتيش بإسبانيا والبرتغال وفرنسا وغيرها**، مطبعة أنصار السنة المحمدية، القاهرة، مصر، طبعة 1947م.

❷محمد عبد الله عنان: **نهاية الأندلس، وتاريخ العرب المنصرين**، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1958م.

❸عبد الكريم التواتي: **مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس**، الدار البيضاء، المغرب، طبعة 1967م.

❹محمد عبده حتامله : **التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثولكيين(1474هـ1516)**، عمان، الأردن، طبعة 1980م.

❺ محمد قشتيليو: **محنة الموريسكوس في إسبانيا**، تطوان، 1980م.

❻بشتاوي عادل سعيد: **الأندلسيون المواركة: دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة**، دمشق، سورية، الطبعة الثانية 1985م.

❼ جمال عبد الكريم: **الموريسكيون تاريخهم وأدبهم**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، مصر، د.ت.

❽محمد عبد الله عنان: **أندلسيات**، كتاب العربي، الكويت، الكتاب العشرون،الطبعة الأولى بتاريخ 15يوليوز1988م.

❾عبد الرحمن الطيبي: **الريف قبل الحماية**، مطبعة النجاح الجددية، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة2007م.

❿ عبد الله محمد جمال الدين: **المسلمون المنصرون أو الموريسكيون الأندلسيون،صفحة مهملة من تاريخ المسلمين في الأندلس**، دار الصحوة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى 1991م.

11- حسن الفكيكي: **المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة**، منشورات كلية الآداب ، جامعة محمد الخامس، الرباط،المغرب، الطبعة الأولى سنة 1997م.

12- محمد رزوق: **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17**،مطبعة أفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الثالثة، سنة1998م.

المطلب الثالث: الندوات والمؤتمرات

وفيما يخص الندوات حول الموريسكيين ، فيمكن الإشارة إلى ما يلي:

➊ ندوة بتونس بعنوان (**دين وهوية الموريسكيين الأندلسيين ومصادر وثائقهم)**، مؤتمر أقيم بتونس ما بين 19و25سبتمبر 1983م، شارك فيها محمد بن عبود بمقال عنوانه (**الموريسكيون الأندلسيون في عهد ملوك الطوائف**)، وعبد الرحمن حجي بمقاله(الموريسكيون في المصادر المخطوطة الأندلسية)،ومحمد رزوق في مقاله(**تطور استقرار الأسر الأندلسية بالمغرب الأقصى**)، وجمعه شيخة بمقاله (**الموريسكيون في المصادر الأندلسية**)، وعبد الرحمن عبد الرحيم في دراسته المعنونة (**وثائق المحاكم الشرعية المصرية كمصدر لدراسة أوضاع اللاجئين الموريسكيين**)...[35]

➋ المؤتمر الأندلسي العالمي الأول الذي نظمته جمعية الإسلام والأندلس بالجزيرة الخضراء أيام 1و2و3سبتمبر 1989م، وقد نظم المهرجان في مدينة قسطلة ، وقد حضره مجموعة من الباحثين المهتمين بالشأن الأندلسي والموريسكي.

المطلب الرابع: المقالات والدراسات الصحفية

وهناك مقالات عدة تتعلق بالموريسكيين ، ويمكن الإشارة إلى البعض منها على النحو التالي:

➊ جميل حمداوي:(هجرة الأندلسيين إلى منطقة الريف من المغرب الأقصى)، **مجلة التاريخ العربي**، المغرب، العدد58، خريف 2011م.

---

[35] - انظر عبد الجليل التميمي الذي قدم تعريفا بهذا المؤتمر ، **المجلة التاريخية المغربية**، العدد1132-33، السنة 11، 1984م.

❷ عبد الله المرابط الترغي: (الأندلس بعد نكبة السقوط: حضور واستمرار)، **مجلة التاريخ العربي**، المغرب، العدد58، خريف 2011م.

❸ محمد القاضي: (مظاهر الحضارة الأندلسية في شفشاون)، **مجلة التاريخ العربي**، المغرب، العدد58، خريف 2011م.

❹ محمد الشريف: (تطوان بنت غرناطة الحاضنة للحضارة الأندلسية بالمغرب)، **مجلة التاريخ العربي**، المغرب، العدد58، خريف 2011م.

❺ عبد الكريم كريم: (رباط الفتح: مدينة أندلسية فيما رواء البحار)، **مجلة التاريخ العربي**، المغرب، العدد58، خريف 2011م.

❻الحسين بوزينب: (طرق المهجرين الأندلسيين إلى المغرب)، **مجلة التاريخ العربي**، المغرب، العدد58، خريف 2011م.

❼ أحمد شحلان: (من مظاهر الحفاظ على التراث الحضاري الأندلسي لبعض الأسر اليهودية بالمغرب)، **مجلة التاريخ العربي**، المغرب، العدد58، خريف 2011م.

❽ رشيد العفاقي: (الأندلسيون في بلاد جبالة والهبط)، **مجلة التاريخ العربي**، المغرب، العدد58، خريف 2011م.

❾ سلوى الزاهري: (البيوتات الأندلسية- الموريسكية بتطوان: الجذور والامتدادات)، **مجلة التاريخ العربي**، المغرب، العدد58، خريف 2011م.

❿ نجيب الجباري: (الموريسكيون في المغرب من خلال الدراسات الإسبانية)، **مجلة التاريخ العربي**، المغرب، العدد58، خريف 2011م...

المطلب الخامس: الدراسات الأجنبية

وفيما يخص الدراسات الأجنبية، يمكن الإشارة إلى ما يلي:

1-Antonio Domíngez Ortiz et Bernard Vincent, **Historia de los moriscos. Vida y tragedia de una minoría**, éd. Alianza, Madrid, 2007.

2-Barletta, Vincent. **Covert Gestures: Crypto-Islamic Literature as Cultural Practice in Early Modern Spain**. Minneapolis: University of Minnesota Press, 2005.

3-Barrios Aguilera, Manuel, « Los moriscos en el IV Centenario de la Expulsion. Unos libros », ***Cuadernos de Historia Moderna***, 2010, vol. 35, p. 225-235 (bilan des publications récentes).

4-Bartolomé Bennassar***, Histoire des Espagnols,*** Paris, Robert Laffont, coll. « Bouquins », 1992 (1re éd. 1985), 1132 p.

5- Bernabé Pons, Luis F., **Los moriscos. Conflicto, expulsion y diaspora**, Madrid, Los libros de la Catarata, 2009 (synthèse récente).

6-Benitez Sanchez-Blanco, Rafael, **Heroicas decisiones. La Monarquia catolica y los moriscos valencianos**, Valence, Institució

Alfons el Magnànim, Diputació de València, 2001.

7-Bernabé Pons, Luis F., **Los moriscos. Conflicto, expulsion y diaspora,** Madrid, Los libros de la Catarata, 2009.

8-Boeglin, Michel, ***Entre la Cruz y el Corán. Los moriscos en Sevilla*** (1570-1613), Instituto Cultural de las Artes de Sevilla, Séville, 2010).

9-Boeglin MichelParello,Vincent **«** ***Morisques*** **», in** ***Lexique de l'Espagne moderne*** , Université Montpellier 3.

10-Candau Chacón, María L. ***Los moriscos en el espejo del tiempo,*** Universidad de Huelva. Huelva, 1997.

11-*Carr, Matthew (2009)*. **The Purging of Muslim Spain**. *The New Press.*

12-Carrasco, Raphaël, **La monarchie catholique et les Morisques** *(1520-1620)*, Université Montpellier III, coll. « Espagne médiévale et moderne », 2005, 409 p.

13-Catlos, Brian A. (2014-03-20). ***Muslims of Medieval Latin Christendom, c.1050–1614****. Cambridge University Press.*

14-Dadson, Trevor J. (2014). **Tolerance and Coexistence in Early Modern Spain: Old**

Christians and Moriscos in the Campo de Calatrava. *Boydell & Brewer Ltd.*

15-Domínguez Ortiz, Antonio and Bernard Vincent***. Historia de los moriscos: Vida y tragedia de una minoría*.** Madrid: Alianza, 1978.

16- Dominguez Ortiz, Antonio et Vincent, Bernard, ***Historia de los moriscos. Vida y tragedia de una minoria*** (1re édition 1978), Madrid, Alianza, 1984, 1989 (ouvrage de référence).

17-Drummond Braga, Isabel M. R. Mendes***. Mouriscos e cristãos no Portugal quinhentista: Duas culturas e duas concepções religiosas em choque*.** Lisbon: Hugin, 1999.

18-Fernand Braudel, ***La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II*,** éd. Armand Colin, Paris, 1990.

19-*Gárcia-Arenal, Mercedes, and Wiegers, Gerard, eds. (2014-09-22).* **The Expulsion of the Moriscos from Spain: A Mediterranean Diaspora**. *Leiden & Boston: BRILL.*

20-García-Arenal, Mercedes. ***Los moriscos***. Madrid: Editora Nacional, 1975.

21-Gerard A. Wiegers. **Islamic Literature in Spanish and Aljamiado***: Iça of Segovia (fl.*

1450), His antecedents and Successors. Leiden: Brill, 1994.

22-*Haliczer, Stephen (1990).* **Inquisition and Society in the Kingdom of Valencia**, *1478-1834. University of California Press.*

23-*Harvey, L. P. (16 May 2005).* ***Muslims in Spain, 1500 to 1614.*** *University of Chicago Press.*

24-Henri Lapeyre, ***Géographie de l'Espagne morisque,*** éd. SEVPEN, Paris, 1959

25-Joan Fuster, ***Nosaltres, els valencians,*** Barcelone, Edicions
62, 2008, 6e éd. (1re éd. 1962), 283 p.

26-Lapeyre, Henry (28 November 2011). Geografía de la España morisca ***(in Spanish).*** *Universitat de València.*

27-*Lea, Henry Charles (1901). The Moriscos of Spain: Their Conversion and Expulsion. Philadelphia: Lea Brothers & Company.*

28-Leila Meziane, ***Salé et ses corsaires*** *(1666-1727),* publication univ Rouen Havre, 2008, p. 73.

29-Lomas Cortes, Manuel, ***El proceso de expulsion de los moriscos de Espana*** *(1609-*

1614), Valencia-Granada-Zaragoza, coll. « Biblioteca de estudios moriscos 8 », 2011.

30-Louis Cardaillac, **Morisques et Chrétiens. Un affrontement polémique (1492-1640),** éd. Klincksieck, Paris, 1977.

31-*Lynch, John (1969).* ***Spain under the Habsburgs****. (vol. 2). Oxford, England: Alden Mowbray Ltd. pp. 42–51.*

32-Manuel Barrios Aguilera***, Granada morisca, la convivencia negada,*** éd. Comares, Grenade, 2002.

33-Mary Elizabeth Perry, **The Handless Maiden: Moriscos and the Politics of Religion in Early Modern Spain,** Princeton, NJ, Princeton University Press, 2005.

34-Monter, E. William (13 November 2003). **Frontiers of Heresy: The Spanish Inquisition from the Basque Lands to Sicily.** *Cambridge University Press. ISBN 978-0-521-52259-5.*

35-« Passage des Morisques chassés d'Espagne à travers la France », ***Le Magasin Pittoresque,*** 1842, p. 274.

36-Poutrin, Isabelle, ***Convertir les musulmans.*** *Espagne, 1491-1609*, Paris, Puf, coll. « Le Nœud gordien », 2012.

37-Rodrigo de Zayas, ***Les Morisques et le racisme d'État,*** éd. La Différence, Paris, 1992 .

38-Stallaert, Christiane (1998). ***Etnogénesis y etnicidad en España: una aproximación histórico-antropológica al casticismo****. Barcelona: Proyecto a Ediciones.*

39-Vincent, Bernard (2014). ***The Geography of the Morisco Expulsion****: A Quantitative Study.*

40-Vincent, Bernard, ***El rio morisco***, Valencia-Granada-Zaragoza, coll. « Biblioteca de estudios moriscos 2 », 2006.

المطلب السادس: الدراسات الاستعرابية

يمكن الإشارة إلى مجموعة من الدراسات الاستعرابية التي يمكن الاكتفاء بما يلي:

❶ أنطونيو دومينيغيث أورتيت وبيرنارد بيسينت: **تاريخ الموريسكيين: حياة ومأساة أقلية،** ترجمة عبد العال صالح، دار الإشراق، طبعة 1988م.

❷أورتادو دي مندوثا: **حرب غرناطة،** ترجمة إيمان عبد الحليم وسلوى محمود ، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر.

❸بدرو لونغاس: **حياة الموريسكيين الدينية،** ترجمة جمال عبد الرحمن، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر.

❹خينيس بيريث دي إيتا: **الحرب ضد الموريسكيين**، ترجمة عائشة محمود سويلم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، طبعة 2009م.

❺خوليو كارو باروخا : **مسلم مملكة غرناطة**، ترجمة جمال عبد الرحمن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر.

❻غييرمو غوثالبيس بوستو : **الموريسكيون في المغرب**، ترجمة: مروة محمد إبراهيم، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، المجلس القومي للترجمة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى سنة 2005م.

❼فرنثيسكو ماركيث بيانويبا: **القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى**، ترجمة:عائشة سويلم، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، المجلس القومي للترجمة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى سنة 2005م.

❽مارمول كارباخال: **وقائع ثورة الموريسكيين**، ترجمة: وسام محمد جزر، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر.

❾ميرثيديس غارثيا أرينال: **الموريسكيون الأندلسيون**، ترجمة: جمال عبد الرحمن، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر.

❿ميغيل أنخيل بونيس إيبارا: **الموريسكيون في الفكر التاريخي**، ترجمة محمد وسام جزر، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر.

11- ميغيـل دي إيبالثـا: **<u>الموريسـكيون فـى إسـبانيا والمنفـى</u>،** ترجمـة:جمال عبـد الـرحمن، المشـروع القـومي للترجمـة، المجلـس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر.

وخلاصة القول، هذه هـي أهم المراجع والمصـادر والمقـالات التـي يمكن الرجوع إليها من أجل الاستئناس بها في بنـاء البحث التـاريخي حول تـاريخ الموريسكيين بصفة عامـة، وكتابـة تـاريخ الموريسكيين في منطقة الريف بصفة خاصة.

الفصل الأول:

مراحل هجرات الموريسكيين إلى منطقة الريف

توطئة لابد منها:

بعد فتوحات حسان بن النعمان المظفرة في أفريقية، وانتصاره على آخر مقاومة في بلاد تامازغا بقيادة الكاهنة ديهيا، واصل موسى بن نصير اللخمي فتوحات حسان، ودخل إلى المغرب تقريبا دون مقاومة تذكر . والسبب في ذلك أن حسان بن النعمان قد هيأ له الأرضية بشكل كلي، وأخمد كل الثورات الأمازيغية، وواجه المناوشات الرومية، وأوقف الثورات المضادة، وأسكت أيضا كل المتمردين .

وقد أحضر موسى بن نصير معه ألف فقيه ليعلموا البربر أصول الدين الإسلامي، والفقه، والحديث. وقد تأثر البربر - فعلا- بحضارة العرب ولغتهم ودينهم بكل سهولة، وتطبعوا بسلوكهم ومبادئ الإسلام السمحة. وفي هذا ، يقول جوستاف لوبون:" للبربر لغة عريقة يحتمل أن تكون مشتقة من الفينيقية الكنعانية. ويدين البربر بالإسلام، ولكنهم كانوا يدينون بآلهة قرطاجنة الكنعانية. وقد تعربت البربرية حيث تتألف لغة بلاد القبائل الأمازيغية بنسبة الثلث من العربية. فتأثير العرب في شمال أفريقيا أكبر وأقوى من الرومان والإغريق الذين لم يتركوا أثرا في اللغة البربرية."[36]

واتخذت فتوحات موسى بن نصير وجهتين أساسيتين: وجهة بحرية للهيمنة على البحر الأبيض المتوسط وجزره، ووجهة برية لفتح جميع الثغور والمناطق التي استعصت على الفتح أمام حسان بن النعمان من أجل نشر الإسلام، والتعريف بدين محمد (صلعم).

---

[36] - نقلا عن عز الدين المناصرة: **المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب**، دار الشرق، عمان، الأردن، الطبعة الأولى،1999م، ص:88.

وبعد ذلك، توطدت علاقة موسى بن نصير بحاكم سبتة يوليان أو يليان ، وقد اختلفت المصادر في شخصية يوليان هذا، فبعضها يذكر أنه قوطي، وبعضها يزعم أنه رومي، وبعضها ينسبه إلى بربر غمارة...[37] ، وقد اتصل يوليان بموسى بن نصير لفتح إسبانيا وجعل سبتة في خدمة جيشه، وتقديم كل المساعدات التي يحتاجها في مواجهة الملك الرومي لوذريق الذي اعتدى على ابنته، وكذلك الوفاء لغيطشة صديقه الوفي الملك السابق قبل لذريق[38]. ومن هنا، أمر موسى بن نصير عامله على طنجة طارق بن زياد بتجهيز الحملة العسكرية لفتح الأندلس. وقبل ذلك، أرسلت سرية بقيادة طريف، ويكنى بأبي زرعة، ففتح جزيرة طريف في مائة فارس وأربعمائة راجل، فعاد بأموال وسبايا كثيرة.

وتوجه طارق بن زياد لفتح الأندلس سنة 92هـ في اثني عشر ألف جندي، فيهم ثلاثمائة فقط على أكثر تقدير من العرب الذين كانوا قوادا ومؤطرين للفرق العسكرية، منهم مغيث الرومي وعبد الملك المعافري. وعبر طارق البحر في سفن يوليان، ونزل بصخرة تحمل اسمه (جبل طارق) إلى يومنا هذا ، وفتح الجزيرة الخضراء، ودخل بجيشه إلى الأندلس، بعد أن أحرق السفن في معركة حامية الوطيس مع جيش لذريق ، وقد استمرت المعركة ثمانية أيام حسوما،وقد انتهت بهزيمة القوط شر هزيمة. وقد فتحت هذه المعركة أبواب الأندلس على مصراعيها أمام الفتوحات الإسلامية التي شرقت وغربت في إسبانيا ، فوصلت جيوش طارق طليطلة سنة 93هـ دون مقاومة تذكر. ومن ثم ، فلقد تمكن طارق بن زياد

---

[37] - علي محمد محمد الصلابي: **صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي**، المجلد الأول، دار الفجر للتراث، القاهرة،الطبعة سنة 2005م،ص:206.

[38] -علي محمد محمد الصلابي: **صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي** ص:206.

من فتح قرطبة، ومالقة، وغرناطة، ومرسية ، وحصل على مائدة ثمينة من الزبرجد نسبت إلى سليمان عليه السلام[39].

وهكذا، استطاع رجال طارق بن زياد ، وهم برابرة أشداء ، بمساعدة مجموعة من قادة العرب المسلمين، أن يفتحوا مدن الأندلس، بعد أن تعلموا القرآن الكريم ومبادئ العقيدة السمحة بسرعة فائقة، وانطلقوا لنشر الإسلام في ربوع شبه الجزيرة الأيبيرية تحت راية الجهاد في سبيل الله بكل حماس وصمود قل نظيرهما، وساهموا في بناء حضارة عربية إسلامية أمازيغية في الأندلس، استمرت زهاء ثمانية قرون في ظل التسامح والتعايش والتقدم والازدهار حتى تبدلت أحوال المسلمين، ومالوا إلى الترف والتقاعس عن الجهاد، واستحبوا القيان والمجون، ومالوا إلى التفرقة خاصة في عهد ملوك الطوائف؛ مما أدى بهم الأمر إلى التشتت والانهيار وسقوط إمارات الأندلس كلها إمارة تلو أخرى[40].

وقد قيل الكثير عن عزل طارق بن زياد من قبل موسى بن نصير، فهناك من أرجع الأمر إلى أن طارق بن زياد لم يلتزم بخطة موسى بن نصير العسكرية، فغامر بجيشه في أثناء فتوحاته، وتوغل به في أعماق إسبانيا بشكل كبير، دون أن يستشرف طارق عواقب هذه المغامرة الجريئة بشكل جيد. وهناك من اعتبر هذا العزل غير عادل بسبب الحسد الذي كان يستشعره موسى بن نصير تجاه طارق لنجاح مولاه في فتوحاته، وما اكتسبه من شهرة جعلته ذا نفوذ كبير بين قومه.

---

[39] - إبراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ**، الجزء الأول، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، طبعة 2000م، ص:89.

[40] - جميل حمداوي: **المقاومة الأمازيغية عبر التاريخ**، منشورات المعارف، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2013م، صص:319-322.

وفي هذا الصدد، يقول الباحث المغربي إبراهيم حركات:" وإذا كان موسى بن نصير قد حسد طارقا على ماحصل عليه من فتوح وغنائم، حتى إن الأمر أدى به إلى اعتقاله، فإن هذا لم يحرك ساكنا، مع ماكان يتمتع به من نفوذ بين قومه. وقد قيل: إن موسى كان قد أوصاه بعدم تجاوز قرطبة في فتوحاته فلم يمتثل....

والواقع أن موسى بن نصير قد أساء إلى طارق باعتقاله، والتنكيل به، بيد أن عمله هذا ليس إلا حلقة من سلسلة المساوئ التي ارتكبها الولاة الأمويون ضد البربر في المغرب...

ومهما كان من معاملة الأمويين للبربر، فإن هؤلاء قد أخلصوا للإسلام، وبفضلهم استمر الحكم الإسلامي للأندلس ثمانية قرون."[41]

ولكن الباحث الليبي علي محمد الصلابي له رأي مخالف لما ذهب إليه إبراهيم حركات وأمثاله من الدارسين:" أما ما تواتر في كتب التاريخ العربي من أن موسى ماكاد يسمع بأخبار الفتح حتى أكل الحسد قلبه، وقرر أن ينال هو الآخر نصيبه من شرف الفتح، وأنه أساء معاملة طارق وضربه بالسوط فليس بصحيح، إذ لايعقل أن يصدر مثل ذلك عن تابعي جليل وفاتح عظيم كموسى، ثم إن طارقا كان مولى موسى، يعمل بأوامره وينفذها نصا وروحا، وكان يكتب إليه أخبار الفتح أولا بأول، فلو أن موسى حسد طارقا أو أساء الظن به لاستطاع إزاحته من طريقه، وذلك بعزله واستدعائه إلى القيروان، ولا يستطيع طارق مخالفة أوامر موسى في شيء.

إن كل الدلائل تشير إلى أن طارقا كان مثالا للطاعة والنظام... ولعل أوضح دليل على أن موسى قدم الأندلس لمعونة طارق لا لتأديبه، وأن موسى قدم الأندلس لأغراض عسكرية بحتة، وأن موسى لم

---

[41] - إبراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ**، الجزء الأول،ص:90.

يذهب للقاء طارق بعد نزول أرض الأندلس، وإنما انصرف إلى فتح كبار البلاد الجنوبية والغربية التي خلفها طارق دون فتح، وذلك لحماية جناح طارق الأيسر من جهة، ولتدعيم قواعد الفتح المتقدمة في الأندلس ولتشتيت قوات العدو بإشغالها في جبهات عديدة بقوات المسلمين الضاربة، فلما تم له ذلك سار موسى إلى طارق ولقيه في طليبرة على مقربة من طليطلة وحين التقيا قال موسى لطارق:" يا طارق إنه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك بأكثر من أن يمنحك الأندلس، فاستبحه هنيئا مريئا"، فقال طارق:" أيها الأمير!والله لاأرجع عن قصدي هذا مالم أنته إلى البحر المحيط أخوض فيه بفرسي"، ولم يزل طارق يفتح ومعه موسى إلى أن بلغ جليقية وهي على ساحل البحر المحيط."[42]

هكذا، يتبين لنا أن سلوك موسى بن نصير مع طارق بن زياد كان سلوكا سمحا وعادلا ، ينم عن مدى دماثة أخلاق القائد العربي الجليل، وحسن معاملته لطارق بن زياد مولاه المغربي. كما تستوجب السياسة العسكرية ، في الكثير من الأحيان، منطق التروي والتمهل والكياسة والتعقل وعدم المغامرة ، وتنفيذ أوامر السلطات العليا، وترجيح مصلحة الأمة على المصلحة الخاصة حتى ولو افترضنا أن هناك عزلا بالفعل، فلن يكون ذلك القرار إلا لأسباب عسكرية وقيادية موضوعية.

المبحث الأول: من هم الموريسكيون؟

الموريسكيون ، أو الموريسكوس(Morisques /Moriscos)، هم مزيج من العرق العربي والأمازيغي والأوروبي الذين استقروا بالأندلس، أو هم مسلمو الأندلس الذين تحولوا إلى الديانة المسيحية

[42] - علي محمد محمد الصلابي: **صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي**، المجلد الأول، ص:314-315.

الكاثوليكية ما بين 1499 و1526م. ويعني هذا أن الموريسكيين هم المسلمون القدامى الذين اعتنقوا الديانة المسيحية بعد سقوط غرناطة سنة 1492هـ. ومن هنا، فالموريسكيون هم" العرب المتنصرون من بقايا الأمة الأندلسية المغلوبة الذين عاشوا تحت الحكم الإسباني بعد إرغامهم على التنصير زهاء قرن من الزمن منذ سقطت غرناطة حتى أصدر الملك فيليبي الثالث في عام 1609 قرارا بطردهم من إسبانيا، بعد أن يئست المحاولات المتعددة والمتعاقبة من تحويلهم عن دينهم واعتناق المسيحية ولكن دون جدوى، فاضطروا إلى مغادرة أراضيهم إذ منحوا مهلة قصيرة، فازدحمت الطرقات، واشتد الإقبال على البواخر المنطلقة من السواحل الإسبانية نحو شمال أفريقيا وغيرها."[43]

وكلمة موريسكوس تصغير لكلمة (Moros) التي تعني أيضا المسلمين الأصاغر أو المسلمين الأذلاء." وهو في عرفهم مسلم داخل إلى المسيحية حديثا (المسيحيون الجدد).لكن المسلمين خارج إسبانيا لم يستعملوا قط هذه الكلمة، فهم بالنسبة لهم في جميع الحالات (أندلسي)، غير أنه يستعملون في بعض الوثائق لفظ " الغرباء"".[44]

وفي موضع آخر، يرى محمد قشتيليو أن الموريسكوس" هم المسلمون الذي بقوا في إسبانيا، بعد ذهاب دولة الإسلام نهائيا من شبه الجزيرة الإيبيرية، بسقوط غرناطة آخر عاصمة لهم على يد

---

[43] - نجيب الجباري: (الموريسكيون في المغرب من خلال الدراسات الإسبانية)، **مجلة التاريخ العربي**،الرباط، المغرب، العدد 58، خريف 2011م، ص:329.

[44] - محمد رزوق: **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17**، مطبعة أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الرابعة 2014م، ص:28.

إيزابيل وفرناندو، وخروج أبي عبد الله منها آخر ملك عربي مسلم من أسرة بني الأحمر أو بني نصر."[45]

وإذا كان كثير من المؤرخين قد أثبتوا أن لفظة الموريسكيين قد استعملت بعد سقوط غرناطة سنة 1492م، إلا أن الباحث المغربي محمد بن عبود يرى أن لفظة الموريسكيين قد وظفت قبل سنة 1492م، وبصفة أدق منذ سنة 1085م[46].

وهناك من يرى أن الموريسكوس " مشتقة من مورو هو المغربي بالإسبانية، وكانوا يقصدون بها الشعب المتنصر، وكانوا يعطون للموريسكيين صبغة أمة غريبة عن إسبانيا تعيش فيها فيجب إدماجها بين الإسبان بالتنصير أو إخراجها، أما بقاؤها على حالتها فهذا ما لايقبل ولايمكن أن يحتمل، وقد كان ما كان من نهايتهم المؤلمة."[47]

ومن هنا، تحيلنا كلمة (مورو/Moro) على المغربي الذي يسكن موريطانيا القيصرية؛ لأن فتح الأندلس جاء من المغرب. وبذلك، يكون هو السبب الرئيس في وجود المسلمين في الأندلس.ومن ثم، يعد (الموريسكيون) لقبا عاما يخص العرب والمغاربة، وإن كان يحيل على المغاربة بشكل أخص؛ لأنهم يشكلون أغلبية المجتمع الأندلسي. ومن هنا، فالموريسكي هو المغربي الحقير والذليل.

هذا، وقد استقر الموريسكيون، كما قلنا سابقا، في بعض نواحي إسبانيا ، وفرنسا، والبرتغال، وإيطاليا، ودول المغرب العربي، ومصر، والشام، وتركيا، وبعض دول أمريكا اللاتينية كالمكسيك،

---

[45] ـ محمد قشتيليو: نفسه، ص:5.

[46] ـ محمد بن عبود: (الموريسكيون في نهاية عهد دول الطوائف من خلال النصوص التاريخية الأندلسية)، **مجلة البحث العلمي**، الرباط، المغرب، العدد35، سنة 1985م، ص:31-48.

[47] ـ محمد قشتيليو: نفسه، ص:3-4.

والبيرو...، وقد تم طردهم لأسباب دينية وسياسية وعرقية وعنصرية ابتداء من سنة 1609م.

ويعني هذا أن الموريسكيين هم خليط من المسلمين العرب والأمازيغ والأروبيين واليهود، وقد انصهروا جميعا في بوتقة إثنية واحدة. وفي هذا، يقول الحسين بوزينب عن الموريسكي:" طرف إسباني انصهر فيه العنصر العربي بالعنصر الأوروبي. ولذلك، ليس في استطاعتنا اليوم أن نأتي بالبرهان القاطع على صفاء دم الإسبانيين الذين لم يشملهم قرار الطرد سنة 1909م من العنصر المغربي العربي، كما لايستطيع أن نبين صفاء دم من طردوا من العنصر الإيبيري، هذا فإن بعض المؤرخين يغالطون حينما يقدمون الموريسكيين وكأنهم شعب عربي بقي في إسبانيا، لكن مفاهيم القرون الوسطى لم تكن تسمح بالتصرف بغير الطريقة التي تم سلوكها، وعلى أي حال فإن المسلمين وهم الأغلبية واليهود هم الأقلية طردوا من بلادهم وكأنهم أجانب."[48]

ولم يشر هذا الباحث إلى العنصر الأمازيغي الذي اختلط بالعنصر العربي واليهودي والأوروبي، وهؤلاء طردوا من الأندلس كما اضطهد الآخرون.

وعليه، فالموريسكيون هم الأندلسيون الذين هاجروا من إسبانيا إلى المغرب، بعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس ، هروبا بمعتقدهم الديني من جهة، وخوفا من الموت والتعميد والتنصير والحرق والتعذيب والتنكيل الذي التجأت إليه محاكم التفتيش الكاثوليكية من جهة أخرى. وقد اختلطت دماؤهم وأعراقهم وفصائلهم حتى شكلوا كينونة وراثية (جينيالوجية) موريسكية

---

[48] - محمد قشتيلو: نفسه، صص:17-18.

واحدة ، فهم من دم عربي، وأمازيغي، وإسباني، وأوروبي، ويهودي ...

بيد أن هناك مصطلحات أخرى ترتبط بالموريسكيين كالمدجنين والأندلسيين، فالمسلمون الذين كانوا تحت حكم النصارى قبل سقوط الأندلس يدعون بالمدجنين (**Modejares**)، " وهؤلاء كانوا مقيدين بمعهادة مع النصارى موقعة من الجانبين ، بل كانوا يتمتعون حتى ببعض الحرية السياسية والدينية والاجتماعية على أساس الاعتراف بسيادة ملك النصارى عليهم.[49]"

ومن هنا، **فالمدجنون** هم المسلمون الذين كانوا يسكنون إسبانيا، ولم يغادروها، وكانوا في خدمة أسياد إسبانيا ونبلائها وفق اتفاقيات ومعاهدات رضائية موقعة من قبل الطرفين. أما الموريسكوس ، فهم المسلمون الذين عاشوا في إسبانيا أو طردوا منها بعد سقوط غرناطة سنة 1492م. وقد تطلق لفظة الأندلسيين على الموريسكوس بعد نزوحهم إلى المناطق المجاورة للاستقرار فيها، فكان السكان المحليون يطلقون على الموريسكوس النازحين كلمة الأندلسيين ؛ لأن جاؤوا من بلاد الأندلس. وفي هذا، يقول الحسين السايح:"كان الموريسكيون يؤثرون أن يسموا بالأندلسيين، وكان المؤرخون العرب يسمونهم بالمهاجرين الأندلسيين، وأحيانا يلقبون بالغرباء.أما المسيحيون، فكانوا يلقبونهم بالموريسكوس.وأحيانا بالمدجنين، وهم الذين كانوا موزعين في إسبانيا قبل سقوط غرناطة وضواحيها، والذين يعيشون في كنف الممالك الإسبانية منذ عهد المرابطين، وكانوا أرقى حضارة من المسيحيين."[50]

---

[49] - محمد قشتيليو: نفسه، ص:9.

[50] - الحسين السايح: **الحضارة المغربية**، الجزء الثالث، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، طبعة 2000م، ص:68.

وهكذا، يتبين لنا أن ثمة مصطلحات عدة أطلقت على المطرودين من الأندلس بعد سقوط غرناطة سنة 1492م. وهذه المصطلحات هي: الموريسكوس، والغرباء، والمدجنون، والأندلسيون...

المبحث الثاني: سياق تهجير الموريسكيين

يعلم الجميع أن المسلمين قد حققوا في الأندلس حضارة فكرية وعمرانية وعلمية وتقنية كبرى، يشهد لها القاصي والداني ، ويعترف بها المسلم والعدو على حد سواء ، ولاسيما بعد أن وجد المسلمون إسبانيا" في حالة يرثى لها من الانحطاط والتأخر المخيمين عليها من جميع النواحي من جراء استبداد الحكم القوطي، فأدخلوا العلوم والفنون والزراعة والصناعة وغير ذلك..."[51]

ومازالت هذه الحضارة الأندلسية المزدهرة باقية آثارها، وشاهدة على هذه النهضة الإسلامية التي أينعت في مختلف ربوع الأندلس. ومازالت إسبانيا ، إلى يومنا هذا، تفتخر بهذه المنجزات الحضارية الكبرى التي جلبت لها الملايين العديدة من السواح من مختلف أصقاع العالم.

و من يتأمل تاريخ المسلمين بالأندلس، فلا ريب سيتذكر نظرية ابن خلدون في العمران البشري؛ تلك النظرية التي ترى أنه مهما كانت عظمة الدولة وقوتها المادية والمعنوية، فإذا وصلت إلى قمة البذخ والمجد والشهرة ، ثم انغمست في الشهوات والملذات ، ثم أكثرت من المفاسد والمناكر والمعاصي والشرور والفتن ، ثم تصارع أهلها حول الحكم والسلطة بشتى السبل، ثم انقسمت وتجزأت إلى إمارات وطوائف وممالك، فلابد أن تؤول هذه الدولة - حتما- إلى السقوط، والانهيار، والأفول، والتضعضع، والزوال.

[51] - محمد قشتيليو: نفسه، ص:10.

وقد حدد الباحث الليبي علي محمد محمد الصلابي، في كتابه(**صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي**)، مجموعة من الأسباب التي أودت بالأندلس إلى السقوط والزوال، وحصرها في الأسباب التالية:

1- تفتت كيان الشمال الإفريقي بعد سقوط دولة الموحدين؛ حيث تحملت دولة بني مرين حمل الجهاد وحدها في الأندلس،إلا أنها ضعفت وعجزت عن أداء رسالتها الجهادية في الدفاع عما تبقى للإسلام في الأندلس.

2- سعي ممالك إسبانيا إلى الاتحاد، وقد تحقق ذلك بالزواج السياسي الهام الذي جمع فرديناندو الذي أصبح ملكا لمملكة أراجون، وإيزابيلا التي تبوأت عرش مملكة قشتالة فيما بعد، ثم اتحدت المملكتان النصرانيتان، وتعاونتا - بعد اتحادهما- على القضاء كلية على سلطان المسلمين السياسي في الأندلس.

3- الانغماس في الشهوات، والركون إلى الدعة والترف، وعدم إعداد الأمة للجهاد.

4- خلاف المسلمين فيما بينهم تشتتا وفرقة .

5- موالاة النصارى والثقة والتحالف معهم .

6- التخاذل عن نصرة من يحتاج إلى نصرة.

7- غدر النصارى، ونقضهم للعهود.

8- إلغاء الخلافة الأموية وبداية عهد الطوائف.

9- عدم سماع ملوك الطوائف لنصح العلماء.

10- الرضا بالخضوع والذل تحت حكم النصارى، والطاعة لهم.

11- سوء سياسة الولاة، وإرهاق الأمة بالجبايات.

12- الثورات الداخلية في الأندلس.

13- الابتعاد عن تحكيم شرع الله على مسلمي الأندلس.[52]

إذاً، لقد ساهمت هذه العوامل والأسباب كلها في تعجيل سقوط الأندلس كليا بيد النصارى، وعملت أيضا على تنصير الموريسكيين، وتهجير الأندلسيين الآخرين. وقد دفع هذا الواقع المزري معظم الأندلسيين والموريسكيين إلى الهجرة القسرية حيال تونس والجزائر والمغرب على سبيل الخصوص[53]. ولقد هاجروا - كذلك- خوفا من بطش محاكم التفتيش المسيحية التي كانت تطارد المسلمين، وتلاحقهم أينما حلوا وارتحلوا، فكانت تخيرهم بين أمرين: إما البقاء في الأندلس بشرط التنصير ، وإما التنكيل الذي يتبعه التهجير.

ويعني هذا أن الموريسكيين قد عوملوا معاملة وحشية وغير إنسانية من قبل حكام إسبانيا وقادتها الدينيين والسياسيين والعسكريين، وإن كانت هذه المعاملة تتفاوت عنفا وليونة، من حاكم إلى آخر. وفي هذا، يقول محمد قشتيليو:" كانت معاملة النصارى للمسلمين بعد سقوط غرناطة في الغالب حسنة...، ولم يضايقوا أو يرغموا المسلمين على التنصر إلا في أيام **الكاردينال ثيسنيروس** في عام 1538م؛ إذ" وقع في الأسر بعض أمراء المسلمين عند احتلال النصارى لناحية من نواحي قشتالة، فتركوا لهم حريتهم الدينية والاجتماعية مقابل أن يحافظ هؤلاء الأمراء على الولاء والإخلاص

---

[52] - علي محمد محمد الصلابي: **صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي**، صص:642- 656.

[53] - انظر:محمد رزوق: **الأندلسيون وهجراتهم الى المغرب خلال القرنين 16-17**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثالثة، سنة1998م.

لملـك النصـارى، وكـذا عنـد سـقوط ليريـدا (Lerida) وأوسـكا (Huesca) ووادي الحجـــارة (Guadalajara) وطليطلـــة (Toledo)، وكانوا يتمتعون بكل الحقوق المتعاقد عليها مع ملوك النصارى الحامين لهم، وكانوا يقومون هم أنفسهم بحماية الحصون والأبراج التي هزموا فيها، فكانت علاقة هؤلاء الأمراء المسلمين بملوك النصارى علاقة الحامي بالمحمي يشبه بعض الشيء مانراه في عصرنا الحاضر من بسط حماية دولة على أخرى.

لم تكن معاملة ملوك النصارى أو أمراؤهم بإسبانيا للمسلمين واحدة، بل كل ملك أو أمير يعاملهم حسب ما يبدو له وما توحيه إليه نفسيته وشـهوته وملصـحته الخاصـة، فسياسـة **خـايمي الأول** الـذي احتـل بلنسية، **وفرناندو الملقب بالصالح** عندما احتل قرطبة وإشبيلية غير سياسة ما ذكرناه آنفا عند احتلال النصارى لناحية قشتالة وليردة ووشقة ووادي الحجارة وطليطلة، فكانوا يقسمون سكان أراضي المسـلمين التـي يحتلونهـا إلـى ثلاثـة أنـواع هـي: المتنصـرون، والمملوكون، والأحرار، وكل واحد يعامل على حدة بسياسة خاصة.

كان المتنصر يتمتع بالحقوق نفسها التي يتمتع بها النصراني القديم أو الأصيل- كما يسمونه- كانت حقوقه مرعية ومحمية من الظلم، أما المملوك، فكان أسوء حالا من غيره؛ إذ كان يقاسي أنواعا من الآلام، وقليل من كان يستطيع الهروب إلى أرض المسلمين لكثرة الرقابة الشديدة عليه، فكان يتمنى الموت لسيده ليصير حرا حسب ماهو متفق عليه وما يجري به العمل، وكان يعمل جهده لإتمام الخدمة المقررة له في القانون لينخرط في زمرة الأحرار..."[54]

ويضيف محمد قشتيليو معبرا عن سماحة بعض قادة إسبانيا تجاه الموريسكوس:" ومن ملوك النصارى من كان يعامل المسلمين

---

[54] - محمد قشتليو: نفسه، ص:11-12.

المدجنين معاملة حسنة، **فالفونصو العاشر الملقب بالعالم** كان ينهج سياسة الرفق والتسامح محاولا بذلك خلق اتحاد للعنصرين المسلم والنصراني، ويسعى جهده لذلك بكل الطرق السلمية المؤدية إلى هذه الغاية، وأعطى الحرية الدينية والفكرية للمسلمين.وكان لهذا الملك مستشار راهب يدعى **الأب ريموندو** أشار عليه بأن تحرير إسبانيا من يد المسلمين لايكون إلا بالإقبال على تعليم علوم المسلمين لابالقوة الحربية، فأشار عليه بتأسيس مدرسة لترجمة العلوم العربية من دين وفلسفة وطب وتنجيم وغير ذلك، فاهتدى برأيه وأسس مدرسة الترجمة بطليطلة، وجمع فيها علماء المسلمين واليهود لترجمة العلوم من العربية إلى اللغة اللاتينية. فترجم لأول مرة القرآن والتلمود[55]، ولهذا لقب هذا الملك بالحكيم.ففي عام 1254م أمر بتعليم العربية بجانب اللاتينية، وترك للمسلمين مساجدهم على أساس أن يضعوا الصليب في المسجد الأعظم احتراما له، كما كان في مسجد جيان وقرطبة وإشبيلية، وكانت العلاقات إذّاك حسنة بين ملوك النصارى وملوك المسلمين."[56]

ولم تكن المعاملة السيئة صادرة عن الحكام الإسبان فقط، بل كانت هذه المعاملة الوحشية القاسية يمارسها المغاربة كذلك؛ بسبب انحراف الموريسكوس عن تعاليم الدين الإسلامي تأثرا بطقوس الإسبان المسيحيين، وتمثلا بعاداتهم المشينة. وفي هذا، يقول محمد قشتليو:" لقد كان الأواخر من الموريسكيين يعاملون معاملة سيئة حتى من قبل المغاربة؛ لأنهم كانوا قد تخلقوا بأخلاق النصارى ، وكانوا يتعاطون الخمر، ويأكلون لحم الخنزير، ونساؤهم يخرجن

---

[55] - التلمود كلمة عبرية تعني الدراسة، وهو كتاب تعليم الديانة اليهودية. وبتعريف آخر، هو تدوين لنقاشات حاخامات اليهود حول الشريعة اليهودية، والأخلاق، والأعراف، وقصص موثقة من التراث اليهودي، وهو أيضا المصدر الأساسي لتشريع الحاخامات في الدعاوى القانونية...

[56] - محمد قشتيليو: نفسه، ص:14.

سافرات الشيء الذي لم يرق المغاربة، فكانوا بهذا يلاقون معاملة سيئة ونفورا من المغاربة، بخلاف المهاجرين الأولين، فقد كانوا على حالتهم الإسلامية الصرفة، فلم يعانوا ماعاناه الأواخر، وخاصة وأنه كان من بينهم علماء أجلاء استفاد منهم المغرب."[57]

وعليه، فلقد عرف الموريسكيون، في أحضان الملوك المسيحيين الإسبان، خمسة أنواع من المعاملة المجتمعية والسياسية والدينية على النحو التالي:

❶ معاملة تتسم بالتسامح والعفو والسلوك الحسن، وخير دليل على ذلك الملك الفونصو العاشر الملقب بالعالم، فقد كان ينهج سياسة الرفق واللين والتسامح مع المسلمين المدجنين؛ حيث أعطى الحرية الدينية والفكرية للمسلمين. و في عهده، كانت العلاقة حسنة بين ملوك النصارى وملوك المسلمين ؛ إذ كانت تقوم على الولاء والاعتراف بسيادة النصارى على الأندلس.

❷ معاملة تتسم بالعنف والعقاب والتعذيب البدني والمعنوي كسياسة كارلوس الخامس الذي اضطهد الموريسكيين، وضيّق عليهم حياتهم الاجتماعية، والدينية، والاقتصادية؛ مما ولد في نفوسهم السخط والكراهية والنقمة على هذا الإمبراطور[58].

❸معاملة تتسم بالازدواجية والتناقض. بمعنى أنها تجمع بين اللين والعنف، كسياسة الفاتح خايمي الأول، " فكانت معاملته مع مسلمي بلنسية غيرها مع مسلمي وادي وكس (Vxe)، فنراه يشتد في سياسته مع الأولين، بينما يتساهل مع الآخرين."[59]

---

[57] ـ محمد قشتيليو: نفسه، ص:7.

[58] ـ محمد قشتيليو: نفسه، ص:22.

[59] ـ محمد قشتيليو: نفسه، ص:14.

ويعبر هذا التصرف المزدوج عن نفسية مضطربة غير متوازنة، تعيش أمزجة نفسية متقلبة بشكل كبير، قوامها الكراهية، والحقد، والعدوان، والسياسة الماكرة والكاذبة.

❹ معاملة قسرية غير شرعية وغير إنسانية قائمة على التنصير ، وخير دليل على ذلك ما أقدم عليه الكاردينال والقسيس الكاثوليكي الإسباني **خمينيث دي ثيسنيروس** سنة 1538م؛ حيث " قدم لغرناطة وغيّر خطة التنصير، وابتدأ بجبر المسلمين على اعتناق النصرانية بالعنف والقوة، وأحرق كتبا كثيرة في الميادين العامة على مرأى ومسمع من الجميع مما جعل نفس النصارى ينتقدون عليه هذا الموقف، ولم يتحاش فنا من الفنون العلمية إلا أحرق كتبه سواء في الدين أو الفلسفة أو السياسة، يقول خانير" إنه أحرق كتبا كانت مزخرفة بالذهب والفضة مثل مؤلفات (Aljafair)؛ وقد أحدث هذا ضغائن بين النصارى والمسلمين بعد ما عمل طالابرا كل مجهوداته لإبادتها. "

أصدر ثيسينيروس أمرا بتنصير المسلمين بطريقة القوة والعنف، ونسي معاهدة حرية العقيدة أو تناساها، تلك المعاهدة التي عقدها الملوك الكاثوليك مع المسلمين عند دخولهم غرناطة. [60]"

وقد قام خوان الأول و محاكم التفتيش بدور وحشي من أجل إجبار المسلمين الأندلسيين على اعتناق النصرانية، وإلا سيكون مصيرهم هو الطرد الفوري من إسبانيا.

❺ معاملة وحشية فظيعة وجهنمية قائمة على طرد الموريسكيين بشكل جماعي من مختلف مناطق إسبانيا ، وقد بدأ هذا مع فيليب

---

[60] ـ محمد قشتيليو: نفسه، ص:20.

الثاني ملك إسبانيا في القرن السادس عشر الميلادي[61]. وفي هذا، يقول المؤرخ المغربي محمد داود في كتابه (**عائلات تطوان**):" وكان عدد وافر من الأندلسيين قد آثروا البقاء ببلادهم تحت ذمة الإفرنج، فذاقوا من مرارة سيطرة الطغيان ما ذاقوا، وأخيرا تغلب التعصب، واستحكمت الكاثوليكية، وحكمت السياسة بالقضاء على ما بقي بالأندلس من مظاهر الإسلام والمسلمين قضاء مبرما نهائيا، فأجبر جميع من بقي من المسلمين بالأندلس، إما على التنصر أوالجلاء، وكان ذلك سنة 1019هـ موافق **سنة 1609م**، في عهد فيليب الثالث، وكان ذلك آخر العهد للإسلام والمسلمين بالأندلس. وإذ ذاك هاجر مايزيد على **ستمائة ألف مسلم**، قاصدين المغرب والجزائر وتونس ومصر والشام وتركيا، وكان موقع المغرب القريب داعيا لإيثاره على غيره من البلاد، وكان لتطوان أيضا حظ من تلك الهجرة، لأن الغرناطيين والمجاورين لهم والقريبين منهم، كانوا يعرفون أن بتطوان بعض إخوانهم السابقين، من المهاجرين الأولين، فالتحقوا بهم، وكانت تطوان الأولى قد عمرت، فبنوا حولها أرباضا وعمروها."[62]

ومن جهة أخرى، فلقد كان عدد النازحين إلى المغرب أكبر بكثير مقارنة بالأعداد التي نزحت إلى الدول والمناطق الأخرى من العالم[63]؛ والسبب في ذلك أن المغرب كان أقرب منطقة إلى إسبانيا. وقد" منح الملوك الوطاسيون للأندلسيين عند نزوحهم من غرناطة التفويض بحماية الأبراج والحصون بشمال المغرب، بل سمح لهم برفع الراية الأندلسية عليها، فكان لهم شبه استقلال هنا بقيادة

---

[61] ـ محمد قشتيليو: نفسه، ص:29.

[62] ـ محمد داود: **عائلات تطوان**، مراجعة وتحقيق وإضافات حسناء محمد داود، منشورات جمعية تطاون أسمير، سلسلة تراث 18، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2016م، ص:35.

[63] ـ الحسين السايح: **الحضارة المغربية**، الجزء الثالث، ص:64.

المجاهد والقائد **أحمد المنظري**[64].وما أن علمت الأسر الأندلسية بذلك حتى فرحت واستبشرت وهاجرت إلى المغرب، واتخذت منه وطنا جديدا، وأقامت تحصينات ومعاقل بالشمال خشية من عبور النصارى إليها هناك، ولو أن البرتغال كان يحتل إذّاك سبتة وبعض نقط أخرى بالشاطىء المغربي، وقد كانت نظرية الأندلسيين في هذا صائبة؛ لأنهم جربوا ورأوا ذلك بالعين المجردة.فما أن مرت بعض السنين حتى كان البرتغال يطمع في أكثر مما بيده قاصدا التوسع في أرض المغرب، فكانت نتيجة جشعه وطمعه أن هزم شر هزيمة في معركة وادي المخازن الشهيرة بجوار مدينة القصر الكبير، وكان دور إخواننا الأندلسيين في الاستشهاد عظيما، وأبلوا في ذلك البلاء الحسن، وكانت مثل هذه الانتصارات تبعث في نفس الموريسكوس بإسبانيا بارقة أمل، فكانوا ينظرون إلى انتصار المغرب على النصارى نظرة رجاء؛ لأنهم يعلمون أن في قوة المغرب قوتهم فعليه يعتمدون، وإليه يرجعون فيما يؤملونه من استرداد ملكهم الضائع بالأندلس، وإن قوة المغرب هي التي أعادت إلى الأندلس حياتها، بعد أن كادت أن تضمحل وتسقط في يد النصارى أيام ملوك الطوائف على يد المرابطين، وإن ضعف المغرب هو الذي سبب ضعف الأندلس إلى أن أدى بها إلى الضياع، لهذا كله كانوا باستمرار يتطلعون إلى المغرب وما يفعله المغرب وما سيأتي من المغرب."[65]

وقد نزح أغلب الموريسكوس إلى المناطق المجاورة لإسبانيا، دون أن يأخذوا معهم أموالهم، وممتلكاتهم، وأغراضهم، ووثائقهم، و" لو

---

[64] ـ انظر: غيرمو غوثالبيس بوستو: **المنظري الغرناطي مؤسس تطوان**، ترجمة: ممدوح البستاوي، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، طبعة 2007م.

[65] ـ محمد قشتيليو: نفسه، ص:7-8.

أن بعض يهود المغرب يدعون أنهم مازالوا يحتفظون بمفاتيح بيوتهم بالأندلس."[66]

بيد أن هناك من الموريسكيين الذين كانوا يقطنون بالريف المغربي، مازالوا يحتفظون بوثائق ممتلكاتهم، ومازالوا يملكون مفاتيح بيوتهم بالأندلس.

وفي هذا السياق، يقول الحسين السايح:" لم يكتف المنتصرون من سلب المنهزمين أموالهم وديارهم ومتعهم وتوزيعهم في البلاد وحرق كتبهم ووثائقهم، ومن أمر بتغيير زيهم وعاداتهم، ومحو تراثهم وتعطيل أعراقهم، بل أمروهم أن يتخلوا عن معتقداتهم التي كافحوا من أجلها قرونا بل لم يكتفوا بذلك، فأمروهم باعتناق المسحية، إذ بدت مصلحة في تعميدهم ثم اتهامهم بالصبوة إلى دينهم ليعملوا خدما في حقولهم.وأخيرا شق على هؤلاء المنتصرين أن ينظروا إلى هؤلاء المتنصرين الذين يحمل وجودهم تاريخا عظيما، فشردوهم في البلاد، وقطعوهم في الأرض أمما، وقدموا بهم إلى البحر ليلاقوا من قرصنتهم ما بقي عليهم أن يلاقوا من المحن، بعد أن سلبوهم ما لهم من مال ومتاع، وقدرة صحة على مواجهة الخطوب.

ومازال الحفريات الإسبانية تطلعنا من حين لآخر عن كشوف المقابر الجماعية لهؤلا المعذبين في الأرض.

لقد سلطت الكنيسة محاكم التفتيش أو ديوان التحقيق الذي أعطى صفة القداسة وتأييد العرش الكاثوليكي على هؤلاء فعذبتهم سرا وعلانية بما أغدقه الخيال المسيحي على محترفي المسيحية..فكانت

---

[66] ـ محمد قشتيليو: نفسه، ص:6.

أعظم مأساة عاشها الإنسان المسلم في بلاد لم يقدم لها إلا ثمرة حضارة إنسانية سامية."[67]

ولم يُطرد الموريسكيون من بلادهم إلا بعد سقوط غرناطة، بطرد آخر ملوكها الذي اتجه حيال مليلية. في حين، اتجه الموريسكيون الآخرون إلى المدن المغربية القريبة من مدنهم الأصلية، فسكان مالقة، مثلا، اتجهوا نحو منطقة الريف؛ حيث استقروا بمدينة باديس، واختار أهل مرية مدينة تلمسان.وفي هذا، يقول الحسين السايح:" وتبدأ مأساة الموريسكوس، عندما سقطت غرناطة في يد إيزابيلا وفرديناند، حيث شعر الشعب المسلم ببداية المأساة، على الرغم من الوعود الكاذبة باحترامهم، وأخذ كثير من المسلمين يغادرون بلادهم إلى المغرب كلما تنكر لهم الدهر، كما وقع يوم **ثورة (الربض)** على الحكم الأموي.ووصف لنا مؤلف (**أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر)** الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، حيث كانوا يتركون ديارهم إلى بلاد المغرب في جماعات تستقر كل واحدة منها بمدينة من المدن المغربية، بعد أن يبيعوا ما خف من المتاع بأبخس الأثمان، فيؤثرون السكن في المغرب بالمدن الصغرى أو القرى وأحيانا المدن المهجورة حتى يستطيعوا أن يكونوا مجتمعا ملائما لحياتهم...فسكان مالقة اختاروا مدينة بادس، وأهل مرية مدينة تلمسان، وأهل الجزيرة مدينة طنجة، وأهل بلش مدينة سلا، وأهل طريف مدينة آسفي وأزمور...واستأذن المنظري في تعمير مدينة مرتيل وبناء مدينة تطوان.

إن هجرة هؤلاء بعد سقوط غرناطة دليل على شعورهم بما سيلاقون على يد الكنيسة المتلهفة إلى السفك والتعذيب، والإيقاع

---

[67] ـ الحسين السايح: **الحضارة المغربية**، الجزء الثالث، ص:69-70.

بالمسلمين وسلب ثروتهم، واستغلال قدرتهم وعملهم ثم تشريدهم ونفيهم."[68]

وهكذا، يتبين لنا أن الموريسكيين قد اختاروا وجهات متعددة لنزوحهم، فقد هاجر أهالي بلنسية إلى تونس، وهاجر أهالي قرطبة إلى تلمسان، وأهالي إشبيلية إلى فاس، وهاجر الموريسكوس إلى الرباط، والهنتروس إلى سلا، والغرناطيون إلى تطوان، والمالقيون إلى منطقة الريف.

بيد أن هناك من الموريسكيين من ظل يعيش في إسبانيا إلى يومنا هذا، مستعملا في ذلك التقية على غرار أسلوب الشيعة في التستر والإخفاء، أو يتوارى وراء قناع المسيحية والتنصر.ويعني هذا أنه " لم يقض على المسلمين الموريسكوس في إسبانيا على الرغم من توالي الطرد؛ فقد بقي عدد منهم متظاهرين باعتناق المسيحية، أو تحت رعاية سرية للطبقة البرجوازية التي كانت تستغل خبراتهم الفنية وتكوينهم الفلاحي، للعمل في الري والفلاحة والبناء، كما أن عددا منهم لم يستطيعوا أداء مصروفات التنقل إلى خارج الأندلس فظلوا قابعين بها."[69]

وكان الموريسكوس الذين اختاروا البقاء لخدمة النبلاء، أو الذين تنصروا تقية أو حقيقة، يثورون من حين لآخر بسبب نقض الأسياد لمجمل الوعود التي كان عليها التعاقد بين الموريسكيين وحكام البلاد. لذا، اندلعت ثورات موريسكية عدة كثورة البشارات[70] وضواحيها (1500م)، وثورة منطقة المرية بني طوميز (1510م)،

---

[68] ـ الحسين السايح: نفسه، ص:70.

[69] ـ الحسين السايح: نفسه، ص:76.

[70] ـ البشرات بمعنى الأرض الوعرة.

وثورة سكان جبال سيرادو بسيدان، وثرة الموريسكوس الكبرى في البشرات سنة 1566م، وثورة مالقة[71].

المبحث الثالث: مراحل تهجير الموريسكيين

عرفت منطقة الريف هجرات أندلسية ابتداء من القرن الثامن الميلادي، وقبل سقوط غرناطة وبعدها، وانتشرت عناصرها في القبائل جلها[72]. وفي هذا السياق، يجوز الحديث عن هجرات أندلسية متعددة إلى ثغور المغرب. ويمكن حصرها في عدة مراحل كبرى هي:

المرحلة الأولى: كانت الهجرة الأولى سنة 136هـ/745م إلى إمارة النكور بمنطقة الريف بسبب المجاعة التي أصابت الأندلس في تلك الفترة.لذلك، هاجرت بعض الأسر الأندلسية إلى إمارة النكور التي كانت تعرف في تلك الفترة رواجا اقتصاديا لانظير له.

المرحلة الثانية: تحققت الهجرة الثانية في عهد الأدارسة، بمتم بناء مدينة فاس، حينما ثار الحدادون والفقهاء على الخليفة الحكم بن هشام بقرطبة، وتسمى هذه الثورة **بثورة الربض**. بيد أن الحكم استطاع القضاء على هذه الثورة، فسعى إلى طرد من بقي من الفقهاء خارج الأندلس، فخرج هؤلاء إلى المغرب، فنزلوا مدينة فاس، وأسسوا (**عدوة الأندلس).**

المرحلة الثالثة: تبتدىء هذه المرحلة من سنة 1483م، قبل سقوط مدينة غرناطة؛ حيث هاجر الكثير من الأندلسيين إلى الريف، وجبالة، وغمارة، والهبط. كما استقروا بمدينة شفشاون؛ حيث

---

[71] - الحسين السايح: نفسه، ص:76.

[72] - مجهول: **أخبار مجموعة في فتح الأندلس، وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم**، تحقيق : إبراهيم الأبياري، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 1981م، ص:62.

احتضنهم الأمير مولاي علي بن راشد، و أحدثوا فيها حومتي الخرازين وريف الصبانين.

المرحلة الرابعة: تبتدىء بسقوط آخر ملوك بني الأحمر بغرناطة سنة 1493م. بمعنى أنها تتحدد بهجرة أبي عبد الله الصغير إلى مليلة (مليلية)، فغساسة بمنطقة الريف، ثم الهجرة - بعد ذلك- إلى مدينة فاس، إلى أن وافته المنية سنة1534م.

المرحلة الخامسة: تتحدد هذه المرحلة بعد قرار الملكة إيزابيل طرد مسلمي الأندلس سنة 1502م.

المرحلة السادسة: وقعت الهجرة السادسة عام 1571م على إثر اندلاع ثورة منطقة البشرات بغرناطة؛ حيث هاجرت كثير من الأسرالأندلسية إلى شمال المغرب ، فأنشأت حومة الطرانكات بتطوان، وحومة السوق بشفشاون.

المرحلة السابعة: أما الهجرة السابعة والأخيرة، فكانت ما بين سنتي 1609 و1610م، عندما أصدر الملك فيليبي الثالث مراسيم لطرد بقية مسلمي إسبانيا.

ومن هنا، فالهجرة الموريسكية الحقيقية هي التي كانت بعد سقوط غرناطة سنة 1492م.

المبحث الرابع: المواطن التي استقر بها الموريسكيون

نزحت كثير من الأسر الأندلسية إلى ثغور المغرب، وبالضبط إلى منطقة الريف ، بعد عمليات الهجرة القسرية أو الطوعية، فاستقرت أسر أندلسية بضفاف شواطىء الريف، واختارت أسر أخرى الاستقرار بالسهول و البوادي و أعالي الجبال. في حين، اختارت أسر أخرى الاستقرار بأماكن خالية ومهجورة. وهناك من الأسر

الأندلسية الأخرى التي استقرت مدة مؤقتة بمنطقة الريف، لتهجرها، بعد ذلك، إلى مدن ومناطق أخرى من المغرب. كما فعل حاكم غرناطة **أبو عبد الله الصغير** الذي نزل بمدينة مليلية، ثم انتقل إلى مدينة فاس ليتقرب من السلطان الوطاسي محمد الشيخ.

ويمكن القول: إن الأسر التي طردت من مالقة (Malaga)، وقادس (Cádiz)، قد استقرت بمنطقة الريف التي تشمل مليلية، والناظور، ودريوش، والحسيمة. وقد استقر أهالي مانسين ببادس.في حين، اتجه أهل قلعة إلى أجدير. بينما الأسر التي طردت من إشبيلية (Sevilla) قد استقرت في منطقة جبالة كشفشاون، وتطوان، وطنجة، والقصر الكبير، والعرائش، ووزان، وفاس...كما يتبين ذلك واضحا في هذه الخريطة التي تبين أسهمها الاتجاهات الكبرى للهجرة:



وفي هذا، يقول صاحب كتاب (**نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر):"** فخرج من بقي من أهل مالقة في ثلاثة أيام إلى بادس ، وخرج أهل المرية في نصف اليوم إلى تلمسان، وخرج أهل الجزيرة الخضراء في نصف اليوم إلى طنجة، وخرج أهل رندة وبسطة وحصن موغر وقرية كاردوس وحصن مرتيل إلى تطوان ونواحيها، وأهل ترقة خرجوا إلى المهدية، وخرج أهل منسين إلى الريف، وخرج أهل دانية وأهل جزيرة صقلية في أربعة أيام إلى تونس والجزائر والقيروان، وخرج أهل لوشة وقرية الفخار والبعض من غرناطة وأهل مرشانة وأهل البشرة إلى قبيلة غمارة بزاوية سيدي أحمد الغزال، وخرج أهل بربرة وبرخة وبولة وأندراش إلى مابين طنجة وتطوان، ثم انتقل بعضهم منهم إلى قبيلة بني سعد من قبائل غمارة ، وخرج أهل مرينية في يوم إلى مدينة أصيلة وماقرب منها، ثم خرج أهل مدينة بليش وشيطة وقرية شريش إلى مدينة سلا، وخرج ما بقي من أهل غرناطة في خمسة عشر يوما إلى بجاية ووهران وبرشد زوالة ومازونة ونفطة وقابس وسفاقس وسوسة، وخرج أهل طريفة في يوم إلى آسفي وآزمور وآنفا، وخرج أهل قلعة إلى أجدير.[73]"

ونفهم من هذه الوثيقة التاريخية أن الموريسكيين الذين استقروا بمنطقة الريف جاؤوا من مالقا،ومنسين، و غرناطة، وأهل مرشانة، وأهل البشرة...

وفي المقابل، ثمة أسر أندلسية قد استقرت بمناطق أخرى من المغرب، لتنتقل - بعد ذلك- إلى منطقة الريف كأسرة (**إيحاجيثان**) التي قدمت من مدينة سلا لتستقر بقبيلة بني بوفراح بالحسيمة. وقد

---

[73] - مؤلف مجهول: **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**، تعليق الفريد البستاني، مكتبة الثقافية الدينية، بورسعيد مصر ، الطبعة الأولى 2002م،ص:48.

اندمجت هذه الأسر الأندلسية ضمن المجتمع الريفي الأمازيغي، في بوتقة اجتماعية واحدة، فتمزغت مع مرور الوقت، وشكلت وحدة مجتمعية وقبلية من الصعب تفتيتها؛ حيث شكل " تجمع العناصر الأصلية والعناصر الوافدة المحور الأول الأساس للقبائل، خاصة في بني ورياغل وبقيوة التي لم يؤثر العنصر العربي الوافد على المنطقة منذ الفتح الإسلامي على لهجتها، بل على العكس من ذلك، تبربرت جل الأسر العربية التي بقيت مستقرة بعد تخريب مدينة النكور.كل هذه العناصر التي تم تقديمها انصهرت مع مرور الزمن في قبيلة واحدة لها هويتها المتميزة."[74]

ولم تقتصر هذه الهجرة الأندلسية والموريسكية على المغرب فحسب، بل امتدت إلى الجزائر، وتونس، ومصر، وأوروبا، وأمريكا الجنوبية. ويلاحظ أن الأندلسيين" كانوا يتركون ديارهم إلى بلاد المغرب في جماعات، تستقر كل واحدة منها بمدينة من المدن المغربية، بعد أن يبيعوا ما خف من المتاع بأبخس الأثمان، فيؤثرون السكن في المغرب(بالمدن) الصغرى أو القرى، وأحيانا المدن المهجورة حتى يستطيعوا أن يكونوا مجتمعا ملائما لحياتهم...فسكان مالقة اختاروا مدينة باديس، وأهل مرية مدينة تلمسان، وأهل الجزيرة مدينة طنجة، وأهل بلش مدينة سلا، وأهل طريف مدينة آسفي وأزمور... واستأذن المنظري في تعمير مدينة مرتيل، وبناء مدينة تطوان."[75]

ويندهش الباحث المغربي حسن الفكيكي لعدم وجود إشارات إلى الهجرة الأندلسية نحو قبائل قلعية أو الريف الشرقي قبل القرن العاشرالهجري . بمعنى أن المصادر لم تذكر الهجرة الأندلسية إلى

[74] - عبد الرحمن الطيبي: **الريف قبل الحماية**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 2008م، ص:102.

[75] - الحسين السايح: **الحضارة المغربية**، الجزء الثالث، ص: 70.

قبيلة قلعية، أو قبائل غساسة، أو بلاد القلاع ، على الرغم من أن الهجرة ظاهرة بشرية تاريخية تتحقق بشكل طبيعي.وفي هذا النطاق، يقول حسن الفكيكي:" هناك السؤال المستفسر عن عدم ظهور أي أثر بارز للهجرات الأندلسية، خصوصا وأننا لم نصادف في المصادر المكتوبة مايدلنا صراحة على استقبال بلاد القلاع للأسر الأندلسية. ولربما نكون مخطئين إذا نفينا ذلك بالمرة، استنادا فقط إلى غياب شهادات المصادر. فالهجرة ظاهرة حتمية إذا ماقدرنا الأزمة السياسية التي اجتازتها الأندلس آنذاك، تلك الأزمة التي لم ينج من عواقبها المغرب، والشمال الشرقي المغربي بصورة خاصة.

سيبقى التعرف على مصادر هذا التنظيم وعوامله البشرية فراغا في تاريخ بلاد القلاع ماقبل القرن العاشر الهجري، والتوصل إلى ملئه رهين بمزيد من البحث والاكتشاف."[76]

وقد ازدادت الهجرات الأندلسية حيال غساسة وبلاد القلاع مع القرن العاشر الهجري، وتوالت هجرات جماعية إلى غساسة منذ خريف890هـ/ 1493م، تتقدمها هجرة السلطان ابن الأحمر، بعد إقامة قصيرة بمرسى أندراش. وربما أمكن القول : إن هجرة الأندلسيين إلى الريف الأوسط (بني ورياغل وباديس)، أو الريف الغربي(شفشاون، وتطوان، وطنجة)، قد سبقت كل الهجرات إلى الريف الشرقي (قبيلة قلعية، وقبيلة لوطا، وقبيلة المطالسة، وقبيلة الريف).

---

[76] - حسن الفكيكي: **المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة**،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم:39، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1997م، ص:55.

وخلاصة القول، لقد تبين لنا ، مما سلف ذكره، أن الموريسكيين قد غادروا الأندلس بعد سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين ، ثم تفرقوا في عدة اتجاهات مختلفة.وما يهمنا في هذا الصدد أولئك الموريسكيين الذين استقروا في شمال المغرب، ولاسيما في منطقة الريف. ومن ثم، فلقد تفرقوا في مليلية، والناظور، ودريوش، والحسيمة، على أساس أن موانىء الريف كانت هي الأقرب إلى بعض الموريسكيين الذين جاؤوا من مالقة (Malaga).

وما يلاحظ على الموريسكيين الذين استوطنوا منطقة الريف أن كثيرا منهم قد هاجروا إلى مدن مجاورة كتطوان، وسبتة، وطنجة، وفاس، وغيرها من المدن المغربية.وهناك من استقر بمنطقة الريف فتعلم اللغة الأمازيغية، وأصبح أمازيغيا بفضل الاحتكاك بأهل المنطقة. وهناك من احتفظ بلغته العربية إلى يومنا هذا. دون أن ننسى أن كثيرا من الأسر اليهودية قد استقرت في هذه المنطقة ، وكانت معروفة ببيع الحلي وأدوات الزينة الموجهة إلى النساء، وامتهان الحدادة، وصناعة البرادع ، وممارسة الطب والسحر...وفي هذا، يقول أبو عبيد الله البكري في كتابه (**المسالك والممالك**):" ومدينة نكور بين رواب منها جبل يقابل المدينة يعرف بالمصلى، وبها جامع على أعمدة من خشب العرار، وهو والأرز أكثر خشبها.ولها أربعة أبواب: في القبلة باب سليمان، وبين القبلة والجوف باب بني ورياغل، وفي الغرب باب المصلى، وفي الجوف باب اليهود."[77]

[77] -البكري: **المسالك والممالك**، الجزء الخاص ببلاد المغرب، تحقيق: زينب الهكاري، مطبعة رباط نيت، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى 2012م، ص:190.

ويعني هذا أن لليهود حضورا بارزا ومكثفا في منطقة الريف[78]، ولاسيما في منطقة بني ورياغل بالحسيمة، وكان لهم حي خاص بهم، له باب يسمى باسمهم.

وأكثر من هذا فلقد هاجر اليهود الموريسكيون إلى منطقة الريف بهجرة الموريسكيين المسلمين إلى المغرب.وفي هذا السياق التاريخي، يقول الحسين السايح:" طردت إسبانيا بقرار ملك قشتالة وأراغون، بعد الاستيلاء على غرناطة، اليهود من الأندلس كما طردوا المسلمين منها، فوفدوا على البلاد المغربية مع المسلمين، وعرفوا بين اليهود المغاربة (**بميغوا راشيم**) أي الغرباء في مقابل (الطوباشيم)، أي أهل البلاد الأصليين، وهم من قدماء اليهود الذين دخلوا المغرب في السبعينيات قبل الميلاد.

كان عدد الوافدين على المغرب من ميغوراشيم نحوا من (140.000) نزلوا بأصيلا وسلا والعرائش وباديس، وفاس التي توافد عليها فلول المطرودين من البرتغال فيما بعد. وقد تمكن هؤلاء من إقامة معابدهم في المغرب، عكس الذين توجهوا إلى أوروبا. وهكذا عممت (الملاحات) في المدن المغربية كلها؛ مما جعل الحسن الوزاني الإفريقي يقول في كتابه (**وصف أفريقيا**)**:** إن اليهود ينتشرون في كل المدن المغربية، وبالأخص في الموانىء، وكانوا يتعاونون مع البرتغاليين والإسبانيين؛ فقد ساندوا البرتغاليين في احتلال الجديدة (1513م)، كما ساندوا الإسبانيين في احتلالهم لتطوان سنة 1860م.

[78] - دايفيد مونتكومري هارت : **آيث ورياغل**، الجزء الثاني، ترجمة: محمد أونيا وعبد المجيد عزوزي وعبد الحميد الرايس، منشورات جمعية صوت الديمقراطيين المغاربة بهولندا، طبعة 2010م، ص:526-527

وإذا كان الموريسكوس الوافدون على المغرب يتكلمون لغة مزيجة بالإسبانية وتعابيرها، فإن اليهود كانوا يتكلمون (**الحاكيتية**) وهي لغة مزيجة من الإسبانية والبرتغالية والعبرية."[79]

وهكذا، يتبين لنا أن الهجرة الموريسكية قد بدأت ـ فعليا- مع سقوط مملكة غرناطة سنة 1492م.وبعد ذلك، توالت الهجرات الموريسكية بشكل متتابع إلى مناطق متفرقة من دول جنوب حوض البحر الأبيض المتوسط. وفي الوقت نفسه، اختارت جماعات موريسكية الاستقرار بالمغرب لقربه من إسبانيا، فتوزعوا في حواضره وبواديه شمالا، ووسطا، وشرقا، وغربا، وجنوبا.وهناك من فضل الاستقرار في منطقة الريف، فاندمجوا في مجتمعها انصهارا، وتعايشا، وتجاورا، وتضامنا.

[79] ـ الحسين السايح: نفسه، ص:78.

الفصل الثاني:

مظاهر التواجد الموريسكي بمنطقة الريف

ثمة عدة مظاهر ومؤشرات وقرائن وأدلة وعلامات لفظية وبصرية وسيميائية دالة على تواجد الأندلسيين الموريسكيين بمنطقة الريف. ويمكن حصر هذه المظاهر والعلامات في ما يلي:

المبحث الأول: نزوح الأسر الأندلسية إلى منطقة الريف

هناك مجموعة من الأسر الموريسكية التي هاجرت من الأندلس خوفا من بطش محاكم التفتيش المسيحية الجائرة، فاستقرت بمنطقة الريف، ولاسيما النواحي التابعة للناظور، والدريوش، والحسيمة. وفي هذا، يقول المفتوحي أحمد بوقرب عن الأسر الأندلسية والعربية االتي توافدت على منطقة الريف ، وخاصة منطقة الحسيمة، في كتابه (**منطقة الحسيمة عبر التاريخ**):" وهي التي هاجرت من الأندلس ابتداء من القرن 8م بعد سقوط غرناطة وانتشرت عناصرها في جل القبائل مثل:

(أ)- أسرة يحيى المرقي التي استقرت أولا بمدينة باديس، ثم انتقلت إلى بني بوفراح.

(ب) أسرة إبحجيثن بباديس.

(ج)أسرة الحسن المرقي التي استقرت بباديس بالإضافة إلى أسر أخرى عديدة استوطنت المنطقة بسبب العلاقات الوطيدة التي كانت تربط مدينة باديس بمدينة ملاغا.

(د) أسرة أعراص- أشهر الأسر الأندلسية التي انتشرت في جميع القبائل- حيث كان نفوذها في المنطقة منذ العهد الوطاسي..." [80]

---

[80] - المفتوحي أحمد بوقرب: **منطقة الحسيمة عبر التاريخ**، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، الطبعة الأولى 2013م، ص:50.

ويعني هذا كله أن منطقة بني ورياغل كانت منطقة جذابة وقريبة للموريسكيين للاستقرار بها ، والانتشار في مختلف مناطقها وأراضيها رغبة في استكمال الحياة بعيدا عن محاكم التفتيش، ومطاردات الإسبان. والهدف من ذلك كله هو الحفاظ على الدين، وقيمه، وعاداته، وتقاليده، وأعرافه. وتعد باديس المدينة المفضلة للموريسكيين من أجل الاستقرار بها لكونها ميناء يشرف على حوض البحر الأبيض المتوسط.

بيد أن منطقة الريف قد شهدت هجرات أخرى من داخل المغرب، وهي هجرات عربية وأمازيغية.وبعد ذلك، تبربرت القبائل العربية وتمزغت، واندثرت أصولها الوراثية الأولى، وتغيرت أسماؤها تحريفا، وتصحيفا، ولحنا . وفي الصدد، يقول الأستاذ المفتوحي أحمد بوقرب:" وهناك أسر أخرى وفدت على المنطقة مثل: آيت ثاغزة(ثاغزويت)- امرنسا (مرنيسة)- إفسي(الفاسيين)- اتسولين (تسول)- اسهلا (زهيلة)- ابعيذا (آيث بوعياد)...

إذاً، فتجمع العناصر الأصلية والعناصر الوافدة شكلت المحور الأساسي للقبائل، مع العلم أن العنصر الأصلي بقي قاعدة باللهجة الريفية، فجميع القبائل وخاصة في بني ورياغل وبقيوة التي لم يؤثر العنصر العربي الوافد عن المنطقة منذ العصر الإسلامي على لهجتها ، بل على العكس من ذلك تبربرت جل الأسر العربية التي بقيت مستقرة بعد تخريب مدينة نكور، وانصهرت مع مرور الزمن في قبيلة واحدة لها هويتها المتميزة."[81]

وهكذا، يتبين لنا أن منطقة الريف قد أوت أسرا أمازيغية أصلية منذ البداية. وبعد ذلك، استقبلت أسرا أندلسية من جهة أولى، وأسرا

---

[81] - المفتوحي أحمد بوقرب: **منطقة الحسيمة عبر التاريخ**، ص:50.

عربية من جهة ثانية، وأسرا أمازيغية من جهة ثالثة، وأسرا انتقلت إليها من قبائل الريف الأخرى من جهة رابعة.

وهناك من يشير إلى أن هجرة الأندلسيين إلى الريف كانت هجرة مبكرة منذ القرن الثاني الهجري؛ حيث يقول مؤلف مجهول عاش في منتصف القرن الثامن الميلادي:" وفي سنة 136هـ/718م اشتد الجوع فخرج أهل الأندلس إلى طنجة وأصيلا وريف البربر ممتارين ومرتحلين..."[82]

ويعني هذا أن أولى رحلة من الأندلس إلى الريف كانت سنة 136هـ.أي: في القرن الثاني للهجرة ، وكانت بسبب الجوع الذي ضرب الأندلس، وكانت له آثار سلبية في مختلف ربوع الأندلس.

المبحث الثاني: الأندلسيون بمدينة مليلة

تواجد الأندلسيون بمدينة مليلية، أو مليلة، قبل سقوط غرناطة قبل ثلاث سنوات من ذلك، وكانوا يمتلكون الأراضي بأحواز المدينة وضواحيها، وكانوا على جانب كبير من الثروة والمال والجاه، وقد شكلوا طبقة اجتماعية راقية بمدينة مليلة التي فضلوا الاستقرار فيها[83].

وقد كانت مليلة ممرا إستراتيجيا لمجموعة من الأندلسيين الذي غادروها نحو فاس وتلمسان. وقد استقبلت مليلة كثيرا من المهجرين

---

82 - مؤلف مجهول: **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم،** تحقيق: إبراهيم البياري، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1981م، ص:62.

83 - حسن الفكيكي: **قلعية ومشكل الوجود الإسباني بمليلية،** الجزء الأول، رسالة جامعية محفوظة بمكتبة كلية الآداب بالرباط، ص:72؛ أو انظر: حسن الفكيكي: **المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلية،**منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم:39، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1997م.

الذين جاؤوا من مدينة ألمرية الأندلسية. وكانت إسبانيا تستهدف الاستيلاء على مليلة من أجل التوسع في المغرب للظفر بخيراته وثرواته. وبالاستيلاء على مليلة، "تتأتى السيطرة على غساسة وقلعية، بل وعلى جميع أراضي ملوية والزحف إلى تازة وفاس.وربح أراضي إسلامية جديدة مثلما حدث بالنسبة لغرناطة. وقد بدأ الإسبان بالفعل في هذا المخطط، إذ استغل سكرتير الملكين الكاثوليكيين (Fernando de Zafra) حالة الانهيار الناتج عن سقوط غرناطة، فاستمال بعض الأندلسيين من الذين كان لهم نفوذ في الدولة النصرية مثل قاضي البشرات، وإبراهيم الزيات أحد قواد السلطان أبي عبد الله، وطلب منهم أن يرسلوا الأندلسيين المستقرين بالساحل المغربي باسم الملكين الكاثوليكيين، وذلك لتسهيل تدخل الإسبان بمدن الساحل الشمالي المغربي.كما أن عمليات نقل الأندلسيين إلى المغرب في أوائل أكتوبر 1493 ركزت في ذهنه فكرة المشروع التوسعي، إذ نظمت 13 رحلة ترأسها كبار ضباط البحرية الإسبانية، واطلعوا أثناءها في عين المكان على الإمكانيات الممكن استخدامها لتنفيذ المشروع. وكانت جماعة **أندلسيي موتريل** (Motril) المستقرة بمليلة، إحدى هذه الإمكانيات، فقد كانت ترغب في العودة إلى الأندلس، محاولة الاستفادة من شروط الاتفاق الغرناطي الذي يبيح للأندلسيين الرجوع في ظرف ثلاث سنين."[84]

وقد استغل الإسبان سذاجة أندلسيي مورتيل وأطماعهم من أجل تنفيذ مخططاتهم العسكرية ؛ حيث وعدوهم بالعودة مرة أخرى إلى أرضهم بالأندلس شرط أن يساعدوهم في توطيد الحكم الإسباني بمليلة، وزرع الفتنة بين سكان هذه المدينة، والتمرد عن السلطة الوطاسية في عهد محمد الشيخ الوطاسي. وكانه لابد لأندلسيي

---

[84] - محمد رزوق: نفسه، ص:184-185.

مورتيل من تقديم تنازلات لحكام إسبانيا ، بتسهيل دخول إسبانيا إلى مليلة رغبة في الحصول على بطاقة التصريح الخاصة بالعودة." وقد استغل سكرتير الملكين الكاثوليكيين بالفعل هذا العرض، وأرسل جماعة من رجاله إلى المنطقة، وهؤلاء هم الذين دبروا مع جماعة موتريل تمرد مليلة على الحاكم الوطاسي في بداية فبراير 1494م.وبالفعل فقد سيطر المتمردون على الوضع بالقصبة والمدينة لكنهم لم يلبثوا أن انقسموا إلى فئتين متنافستين، إلا أن الهدف، كما تصوره الرسائل المنقولة إلى سكرتير الملكين الكاثوليكيين، كان واحدا: التسابق إلى نيل الحظوة لدى الإسبان لاسترجاع الأراضي التي كان يملكها كل فريق بموتريل، ووصل فعلا الفريقان إلى قرطبة لدى Zafra الذي حاول جهد الإمكان التوفيق بينهما لتمرير مخططه."[85]

بيد أن ساكنة مليلة قد وقفت في وجه جماعة موتريل، وأبعدتها عن تسيير المدينة وتصريف شؤونها. ومن ثم، فلقد " طلب القادة الجدد النجدة من محمد الشيخ الوطاسي.لكن الظروف كانت معاكسة تماما، فالإسبان كانوا على الأبواب، ومساعدة السلطان الوطاسي تأخرت، فما كان من السكان إلا مغادرة المدينة [86]" .

وفي هذا الصدد، يقول الحسن الوزان:" وقد أرسل ملك إسبانيا في هذه الأزمنة الحديثة أسطولا لحصار مليلة، لكن السكان أعلموا به قبل وصوله، فطلبوا النجدة من ملك فاس الذي كان مشغولا بحرب ضد قبائل تامسنا، فأرسل إليهم كتيبة خفيفة.

أما أهل مليلة الذين كانوا على معرفة تامة بأهمية الأسطول الإسباني، فإنهم خافوا ألا يقدرون على التصدي للهجوم، فأخلوا

---

[85] - محمد رزوق: نفسه،ص:185.

[86] - محمد رزوق: نفسه، ص:185.

المدينة فارين بأمتعتهم إلى جبال بطوية.ولما رأى ملك فاس ذلك أضرم النار في جميع المنازل وأحرق المدينة عقابا لأهلها ونكاية في المسيحيين. وكان ذلك عام 896 هجرية.ولما وصل الأسطول بعد الحريق ورأى النصارى المدينة خالية دمرتها النيران، سقط في أيديهم، لكنهم أبوا أن يتركوها من أجل ذلك، فبنوا فيها حصنا. ورمموا شيئا فشيئا كل أسوارها، وهم اليوم مالكوها."[87]

وقد كان هذا الاحتلال تمهيدا من أجل الاستيلاء أيضا على غساسة . وقد ابتكر" فرناندو ملك إسبانيا مخططا لاحتلال غساسة فأخذها بدون عناء، لأن ملك فاس لم يتمكن من إنجاد المدينة، وفر أهلها عنها قبل سقوطها.[88]"

وكانت لإسبانيا أطماع أخرى من أجل السيطرة على تزوطة القريبة من غساسة. وفي هذا، يقول ليون الأفريقي:" وتقوم اليوم بين نصارى غساسة ومسلمي تزوطة حرب دائمة وغارات متوالية، تكون الدائرة يوما فيها على هؤلاء، ويوما على هؤلاء.[89]"

وهكذا، يتبين لنا أن الأندلسيين كانوا في خدمة النصارى، ولم يحافظوا على وحدتهم في بلدهم الأصل، وكانوا خونة ساهموا في احتلال مليلة .وفي هذا السياق، يقول الباحث المغربي محمد رزوق:" هكذا رأينا هذا السلوك الانتهازي لهذه الجالية الأندلسية بالمنطقة، فقد كانت مستعدة للتضحية بأي شيء في سبيل الرجوع إلى ثرواتها بالأندلس، ولو كان ذلك على حساب البلد الذي آواهم وهيأ لهم ظروف السلطة والجاه والنفوذ. غير أن هذا السلوك شاذ،

---

[87] - الحسن بن محمد الوزان الفاسي: **وصف أفريقيا،** ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة سنة 1983م، ص:341.

[88] - الحسن بن محمد الوزان الفاسي: **وصف أفريقيا،** ص:342.

[89] - الحسن بن محمد الوزان الفاسي: **نفسه،** ص:343.

فهناك جاليات أندلسية أخرى بالمنطقة آثرت المقام بأرض الإسلام الجهاد لصد المعتدين والانتقام لمجدها الضائع بالأندلس[90]."

وبعد ذلك، قام الوطاسيون بمحاولات عدة لاسترجاع مليلة على يد العطار الأندلسي الذي استقر بغساسة استعدادا لمواجهة الإسبان.وبعد ذلك، حاول أحد قواد الأندلس ، وهو العطار الأندلسي نفسه، بتحرير غساسة بعد احتلالها من الإسبان ، وكانت هجوماته تنطلق من منطقة تزوطة القريبة من غساسة. في حين، تكلف الأندلسي **علي أعراص** الذي كان يجمع بين قيادة القبيلة والإشراف على الجهاد البحري بمهمة استرجاع مليلة بمساعدة الحاكم الوطاسي.

المبحث الثالث: الأسماء الأندلسية في منطقة الريف

هناك مجموعة من الأسر الأندلسية التي استقرت بالريف الأوسط، وخاصة في مدينة باديس (الحسيمة)، ومنطقة بني ورياغل، ومايحيطهما من مناطق وقبائل. وأغلب الأسر الأندلسية التي نزلت بهذه المناطق هي من مدينة مالقة الساحلية ، و منسين، وبربرة، وبرجة، وبولة، وأندراش... والسبب في ذلك أن مالقة كانت قريبة من شواطىء الريف الأوسط.

المطلب الأول: الأسر الأندلسية التي استقرت بالريف الأوسط

يمكن الحديث عن العديد من الأسر التي استقرت بالريف الأوسط على النحو التالي:

➊ أســـرة يحيى المالقي:

---

[90] - محمد رزوق: نفسه، ص:186.

استقرت هذه الأسرة الأندلسية النازحة في بداية القرن السادس عشر الميلادي في مدينة باديس ، وهي حجرة شاطئية قريبة من مدينة الحسيمة. لكن هذه الأسرة قد انتقلت إلى قبيلة بني بوفراح ، بعد سيطرة الإسبان على جزيرة باديس سنة1564م.

❷أســـرة الحسن المالقي:

تعد هذه الأسرة من الأسر الأندلسية المهاجرة التي استقرت في مدينة باديس، وقد أقامت برابطة البحر مدة طويلة. وقد استوطنت المنطقة أسر مالقية كثيرة بسبب العلاقات المتينة التي كانت تربط باديس ومدينة مالقة.

❸ أسرة إيحاجيثـــان:

من المعروف أن أسرة إيحاجيثان، أو أسرة " حجي" ، من الأسر الأندلسية التي استقرت في البداية بسلا. ثم، انتقل بعض أفرادها إلى منطقة الريف، فاستقروا بقبيلة بني بوفراح، واستقرت بفرقة ابيحياثان.و"حسب بعض المصادر أن يحيى حجي استقر بعد مدينة باديس في مدشر إهارونن حوالي سنة1564م.وأخوه رحو استقر بإكني، ثم انتقل إلى إزلوكن.أما أبناء يحيى، وخاصة ابنه علي بن فارس بن يحيى، فإنه استوطن بصفة نهائية بفرقة ابيحياثن الذي يعتبر الجد الأول للأسر المنحدرة من هذا المدشر، وبعد استقرار العناصر الجديدة في هذا المدشر واندماجها مع الأسر الأصلية، أصبحت تحمل نفس النسب."[91]

ويعني هذا أن أسرة إيحاجيثان أسرة عربية أندلسية استقرت بسلا أولا، فالريف الأوسط ثانيا، ثم تمزغت عبر العصور والسنين.

❹فرقـــة إندروســـان:

[91] - عبد الرحمن الطيبي: **الريف قبل الحماية**، ص:101.

يعني اسم (إندروسان) فرقة (الأندلسيين) الذين هاجروا من الأندلس، فاستقروا في منطقة بني ورياغل، وبالضبط في منطقة أجدير. ويرجح أن تكون هجرتهم سنة 136هـ. ويعود السبب في هذه الهجرة المبكرة إلى انتشار المجاعة بالأندلس في أثناء هذه الفترة. وفي هذا السياق، يقول عبد الرحمن الطيبي:" وسبب ترجيحنا لهذه السنة هو ماعرفته إمارة النكور من ازدهار اقتصادي."[92]

ويعني هذا إن إمارة النكور بالريف الأوسط كانت تعرف رواجا اقتصاديا وعمرانيا كبيرا في القرن الثاني الهجري؛ مما دفع الكثير من الأندلسيين إلى الهجرة حيالها بحثا عن الاستقرار، ودرءا للفقر والجوع والوباء .

❺ أســرة أعراص:

هاجرت هذه الأسرة الأندلس، فاستقرت بمدينة باديس، وخاصة ببني يطوفت، وكان لها نفوذ قوي في المنطقة منذ العهد الوطاسي.وبعد ذلك، هاجرت أسرة إعراصن، أو أولاد أعراص، منطقة بني يطوفت، فاستقرت ببني بويفرور بأزغنغان، وكان ذلك في العهد الوطاسي.وقد قام إعراصن بدور سياسي مهم " مع الوطاسيين بقلعية في آخر أيامهم، ثم مع السعديين بقدومهم على أعراص، استوطنوا موضع أفرا، واحتلوا منخفضا صغير المساحة منحصرا بين تل العمال وجبل العافية أو أفرا، مستأثرين بأهم بقع وادي الخميس بحكم موقعهم السياسي بقلعية."[93]

ويعني هذا أن أسرة أعراص من الأسر الأندلسية المهاجرة إلى الريف الأوسط، فالريف الشرقي ، و كانت لها مكانة اجتماعية

---

92 - عبد الرحمن الطيبي: نفسه، ص:101.

93 - حسن الفكيكي: **المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة**،ص:133.

كبيرة بين الناس، وحظوة سياسية متميزة ، بتقرب هؤلاء من سلاطين الوطاسيين والسعديين.

❻متصوفون أندلسيون نزحوا إلى الريف:

ذكر عبد الحق بن إسماعيل البادسي، في كتابه(**المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**)، بعض الأولياء والصلحاء والمتصوفة الأندلسيين الذين نزلوا بمنطقة الريف، فاستقروا فيها ، ثم قدموا كراماتهم الخارقة، ثم أظهروا الصلاح والتقوى والاستقامة. ومن بين هؤلاء الحسن بن الخراز الذي قال عنه البادسي:" حدثني الحاج علي المؤذن الأندلسي.قال: كان الشيخ الحسن من أهل مالقة، وهو ابن أخت أبي العباس القنجري، وكان خرازا يشتغل بنسيج الديباج، وتزوج بنت عمه بمالقة، ثم زهد في الدنيا، وخرج متجردا للعبادة، قدم على باديس- وهو شيخ في حوز الثمانين سنة- أعني من عمره، ونزل برابطة البحر، فأقام بها مدة، وكان له خديم اسمه موفق، وكثر الخصب في تلك الرابطة بسببه، وكان لايصل قارب إلى مرسى باديس إلا أعطى شيئا باسم الرابطة."[94]

ويفهم من هذا أن الأولياء والمتصوفة الأندلسيين قد شيدوا الروابط والزوايا بالريف الأوسط بغية تنوير الساكنة روحانيا، وتربيتهم عرفانيا. ومن أهم المتصوفين الاندلسيين الذين استقروا بمنطقة الريف أبوداود مزاحم[95]...

المطلب الثاني: الأسر الأندلسية التي استقرت بالريف الشرقي

---

[94] - عبد الحق بن إسماعيل البادسي: **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**،تحقيق: سعيد أحمد أعراب،المطبعة الملكية بالرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1982م، ص:106.

[95] - عبد الحق بن إسماعيل البادسي: **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**،ص:50.

هناك مجموعة من الأسر الأندلسية التي استقرت بالريف الشرقي، وخصوصا في منطقة غساسة ومليلة ، بعد المحنة الكبرى التي تعرض لها الأندلسيون والموريسكيون من طرد، وتهجير، وتنصير، وتنكيل. ونستحضر من بين هذه الأسر مايلي:

1- جماعـــة موتريل:

تعد جماعة موتريل (Motril)من الجماعات الأندلسية الأولى التي هاجرت إلى الريف الشرقي، وخصوصا إلى مدينة مليلية، فتمردت عن السلطة الوطاسية. وكانت هذه الجماعة ذات مكانة مادية كبيرة داخل المجتمع المليلي. وقد هاجرت الجماعة الأندلس في القرن التاسع الهجري، بعد تحالف قشتالة مع أراغون لطرد المسلمين من الأندلس. وفي هذا السياق، يقول حسن الفكيكي:" برزت انعكاسات أحداث الأندلس على قلعية، منذ أن تجاوزت تقديراتها سنة 886هـ/1481م في استقبال الأسر الأندلسية المهاجرة، وانسداد أبواب المراسي في وجهها، مما كان له أبلغ الأثر في الوضع العام.فبعد زحف التحالف القشتالي الأراغوني على طول الساحل الجنوبي، اقتصر النفوذ الغرناطي على الساحل الممتد بين مدينتي ألمرية وموتريل، أي مجموعة المراسي التي كانت على اتصال مستمر عبر القرون السابقة بالساحل القلعي.

وبتوالي الضغط الإسباني عليها، لم يسع سكان تلك الجهات سوى التفكير في العبور إلى الساحل الريفي المقابل. فمن مراسي موتريل وأندراش والمنكب، انطلقت المراكب وعلى ظهورها الأندلسيون المطرودون لتحط بمرسى مليلة أو غساسة. ويستفاد من رسالتين صدرتا عن سكرتير الملكين الكوثوليكيين، أن جماعة من الأثرياء منتمية إلى مدينة موتريل الأندلسية، هاجرت إلى مليلة، واستطاعت في وقت وجيز أن تحتل مرتبة عليا بالمدينة، وتتزعم هناك التمرد

ضـد الحـاكم الوطاسـي، وطـرده منهـا فـي محـرم 900هـ،الموافق لفبراير 1494م."[96]

ويعني هذا أن فرقة الموتريل هي فرقة أندلسية غنيـة، كانـت تمـارس التجارة، وقد استقرت ، في فترة مبكرة ، بمدينـة مليلـة بعد الهجـرة العامـة، فـأرادت أن تؤسـس لنفسـها كيانهـا السياسـي والاجتمـاعي والاقتصادي، بعد طـرد الوطاسيين منهـا. لكن الغزو الإسباني حـال دون تحقيق طموحاتهم.

2- أسرة آيت وارث:

تعتبـر أسـرة آيـت وارث مـن أهـم الأسـر الأندلسـية التـي هـاجرت الأندلس في فترة مبكرة، لتستقر بمنطقـة غساسـة، أو بـلاد القـلاع، أو قبيلـة قلعيـة. وأصـل هـذه الأسـرة مـن الصـنهاجيين، ومـنهم: الصـالح مسـعود الغساسـي وعـدد مـن القضـاة. ومـن الصـعب بمكـان معرفـة تاريخ قدومهم إلى بلاد القلاع، " وربمـا كـانوا أقدم من المـوتريليين بحكم توارث منصب القضاء بالمدينة"[97]

ومازالت جماعات من أسر آيت وارث موجودة بخمس بنـي بوغـافر في قبيلة قلعية ، وقد أشار إليها عيسى البطوئي صاحب كتاب(**مطلب الفـوز والفـلاح فـي آداب طريـق أهـل الفضـل والصـلاح)**[98]، وقـد تـم تحريف اسمهم العائلي ليصبح (الورتي).

3- أســـرة بنـــي الأحمـــر:

---

[96]- حسن الفكيكي: نفسه،،ص:63-64.

[97] - حسن الفكيكي: نفسه، ص:64.

[98] - انظر: عيسى البطوئي: **مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح**، موجود بالخزاة الحسنية بالرباط، المغرب،رقم المخطوط: 2613.

من الأسر التي نزلت بمنطقة الريف، في القرن التاسع الهجري، نستحضر أسرة بني الأحمر بقيادة آخر ملوك المسلمين في الأندلس، وحاكم مملكة غرناطة أبي عبد الله محمد الذي غادر مملكة بني الأحمر نحو مدينة مليلة، فمدينة فاس[99]. وفي هذا الصدد، يقول ابن عنان:" هكذا، اعتزم أبو عبد الله أن يغادر إلى الأبد، تلك الأرض التي نشأ فيها أجداده منذ عصور، وأن يعبر إلى المغرب في أهله وأمواله، وذلك في سفن أعدها ملك قشتالة لجوازه. وكان ذلك في أواخر سنة 1493م. ونزل أولا بمليلة، ثم قصد إلى فاس، واستقر بها، وتقدم إلى ملكها السلطان محمد الشيخ بني وطاس، الذين غلبوا على بني مرين مستجيرا به، مستظلا بلوائه ورعايته، معتذرا عما أصاب الإسلام في الأندلس على يده، متبرئا مما نسب إليه من ضروب التفريط والخيانة. وقد بسط أبو عبد الله دفاعه في كتاب طويل مؤثر، كتبه عن لسانه، كاتبه ووزيره محمد بن عبد الله العربي العقيلي، وسماه بـ(**الروض العاطر الأنفاس في التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس**). وهذا الدفاع الشهير الذي يقدمه إلينا أبو عبد الله عن موقفه وتصرفه، هو قطعة رائعة من الفصاحة والسياسة، وهو يدل في روحه وقوته على فداحة التبعة التي شعر بها آخر ملوك الأندلس، إنه يحملها أمام الله والتاريخ، وعلى أن هذا الأمير المنكود، لم يرد أن ينحدر إلى غمر النسيان والعدم محكوما عليه دون أن يبسط للتاريخ قضيته."[100]

ولقد خصص لأبي عبد الله الصغير عشر سفن لنقل رعاياه من الأندلسيين المهاجرين، برعاية الملكين الإسبانيين، فنزلت بمليلة

---

[99] - أحمد التلمساني المقري: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، الجزء الرابع، بيروت، لبنان، طبعة 1968م، ص:225.

[100] - محمد بن عنان: **أندلسيات**، كتاب العربي، الكويت، الكتاب العشرون،الطبعة الأولى بتاريخ 15يوليوز1988م، صص:101-102.

وغساسة. وفي هذا السياق، يقول حسن الفكيكي : " يمكن لنا الوقوف على أهمية تلك الهجرة، إذ إن السلطات الإسبانية وضعت رهن إشارة ابن الأحمر عشر سفن ، وهو العدد النازل بمرسى غساسة صبيحة يوم 23 ذي الحجة عام899 هـ الموافق لـ4أكتوبر1493م، كان من بينها سفينة الملكين الكاثوليكيين المسماة كاركاس (Caracas) المخصصة لنقل ابن الأحمر، وقواده، ومن كان معه من القضاة والفقهاء والأطباء والعلماء والحكماء.

بلغ مانقلته السفينة الإسبانية على ظهرها **نحو ألف ومائة وثلاثين شخص،** بينما بلغ العدد الكلي المرافق للسلطان من مرسى عذرة نحو **ألفين وتسعمائة وتسعة عشر شخص**.وأبحر في الوقت نفسه من مرسى المنكب نحو ألف ومائة وستة وستين مهاجر.هكذا، نجد أن من بين مايزيد على **ستة آلاف مهاجر** تلقت غساسة وحدها **أربعة آلاف وخمسة وثمانين مهاجر.**

تفيد الوثائق الإسبانية القليلة أن نتائج أحداث الأندلس كانت وخيمة على قلعية بصفة خاصة، وهذا طبيعي جدا بسبب العلاقات القديمة المستديمة مع الساحل الأندلسي."[101]

وقد صادف نزول بني الأحمر بغساسة انتشار المجاعة والوباء والغلاء في الأسعار، بعد أن سيطر الإسبان على موارد الإنتاج بالأندلس، وأوقفوا كل الصادرات الفلاحية نحو سواحل المغرب الشمالية. ويقول المقري في (**نفح الطيب**) عن نزوح ابن الأحمر إلى غساسة:" فحين جوازه لبـر العدوة لقي شدة، وغلاء، ووباء"[102]. والدليل على انتشار المجاعة بمنطقة قلعية رسالة السكرتير الملكي ؛

---

[101] ـ حسن الفكيكي: نفسه،ص:65.

[102] ـ أحمد التلمساني المقري: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب،** الجزء الرابع، ص:525.

حيث يقول فيها:" تأكدوا جلالتكم بأن هذا البلد البراني يوجد بحال يكفي معه استخدام عمارة قوية، ولن يكون آنذاك على الساحل من غساسة إلى وهران من يقوى على المواجهة، فجميعهم يموتون جوعا، وكل أولئك السكان لايرون في غير الاستسلام سبيلا."[103]

وبعد ذلك، "استقر الأمير الغرناطي بمدينة فاس في ظل الوطاسيين، وبنى بها قصورا على الطراز الأندلسي، رآها ودخلها المقري، كما يذكر أنه توفي بفاس سنة 940هـ ، وأنه دفن بإزاء المصلى خارج باب الشريعة."[104]

وقد عاش أبو عبد الله ، الملقب عند الإسبان بالملك الصغير (El rey chico)، في مدينة فاس إلى أن توفي سنة 940هـ، و"ترك ولدين هما: يوسف وأحمد. واستمر عقبه متصلا معروفا بفاس مدى أحقاب، ولكنهم انحدروا قبل بعيد إلى هاوية البؤس والفاقة، ويذكرنا لنا المقري، في كتابه (نفح الطيب)، أنه رآهم في سنة 1037هـ، فقراء معدمين يعيشون من أموال الصدقات."[105]

ونجد في منطقة الريف ، وخاصة في مدينة الناظور، كثيرا من الأفراد والأسر تسمى بالاسم العائلي(**أزواغ**)، وتعني هذه الكلمة الأمازيغية (**الأحمر**). ويعني هذا أن ثمة العديد من سكان بني الأحمر قد استقروا بمدينة مليلية والناظور، واندمجوا في المجتمع الأمازيغي، واكتسبوا اللغة الريفية ، فأصبحوا جزءا لايتجزأ من المجتمع الأمازيغي الريفي. بل إن بشرتهم البيضاء المختلطة بالحمرة، تقربهم كثيرا من ساكنة الأندلس في طابعها الإسباني والأوروبي. وقد استقر بنوالأحمر قرب مدينة مليلية، وأسسوا قربها

---

[103] - رسالته بتاريخ12فبراير1494م. A.G.S.Negociado de Mar yTierra, L.1315.

[104] - محمد رزوق: نفسه، ص:181.

[105] - محمد بن عنان: أندلسيات،:ص:103.

بلدة تسمى ببني أنصار، نسبة إلى بني نصر الأندلسيين، وهم بنو الأحمر أنفسهم.

4 – أســـرة القضيـــا:

هاجرت هذه الأسرة مدينة قادس(Cádiz) الأندلسية ، فاستقرت بمنطقة بني سعيد الواقعة بالريف الشرقي، وأصل هذه الأسرة من القضاة. وقد ذكرت الوثيقة" أنهم من آيت عيسى المستقرين على الضفة اليسرى من مصب واد كرت بربع أمجاو السعيدي، وهو ماتؤيده الرواية الشفوية أيضا وبعض الوثائق التي بين أيدينا.وذكرت الوثيقة أن جدودهم كانوا قضاة بغساسة لذا استحقوا كنية القضاة.

تقع مساكن الأسرة في مرحلة وسطى من الكعدة ، بمكان متحجر بين تيميزار وآيت غانم وأولاد عمر بن عيسى القيطونيين.نعرف منها أحمد بن محمد بن أبي القاسم بن القاضي الكعداوي، صاحب تقييد عن جهاد القلعيين آخر القرن الحادي عشر الهجري ضد مليلة."[106]

ويتضح لنا ، مما سبق ذكره، أن القضيا من الأندلسيين الذين قدموا من مدينة قادس إلى بني سعيد، وكانوا يمارسون مهمة القضاء بقبائل الريف الشرقي. وحسب وثيقة تاريخية، وردت في كتاب التعريف لأبي محمد بن فرحون القبيسي - رحمه الله - أن القضيا من آيت عيسى من الأندلس، كان جدهم قاضيا وخطيبا بمدينة أخصاصن[107].

5- أسرة إحجيون:

---

[106] - حسن الفكيكي: نفسه،،ص:138.

[107] - برومي عبد الوهاب ويوسف السعيدي: **إقليم كرت: التاريخ والثقافة**، مكتبة الشيخ حسن، وجدة، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2009م، ص:48.

استقرت هذه الجماعة الأندلسية في فرخانة قرب مدينة مليلة، ولكن لانعرف متى هاجرت هذه الجماعة بشكل حقيقي إلى هذه المنطقة القريبة من مدينة مليلية، وربما تكون تلك الهجرة بعد الهجرة العامة لكل الأندلسيين من أرض إسبانيا.

6- أســرة الطريس(Torres):

استقرت هذه الأسرة الأندلسية بمنطقة الريف الشرقي، وكذلك بمدينة تطوان(عبد الخالق الطريس). ومن أشهر أعلام هذه الأسرة الدكتور أحمد الطريسي أعراب الأستاذ الجامعي بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط. ويعني هذا أن هذه الأسرة عربية الأصل، وأندلسية المنشأ، وقد تمزغت بعد طول السنين والعصور.

7- أســـرة العوفي:

استقرت أسرة العوفي بمنطقة الريف الشرقي ، بعد هجرتها من الأندلس ضمن الهجرة العامة، وقد نزلت الأسرة ببني وليشك التابعة لدائرة تمسمان،وخاصة في قبيلة وردانة وتغزوت. ويعرف عن أفراد الأسرة أنهم من رجال الفكر والمقاومة والقضاء، وهم أيضا من رجال التعليم، كما هو حال نجيب العوفي.

8- أســـرة أعراص:

تعد أسرة أعراص، أو أعراصان، أو أعراس من الأسر الأندلسية التي هاجرت من الأندلس، فاستقرت بمدينة باديس. وبعد ذلك، انتقلت إلى الريف الشرقي لتستقر ببني بويفرور، وبالضبط بمنطقة أفرا[108]. ومن ثم، فلقد اشتهر من أعراصن" قواد عسكريون في عهد مولاي رشيد ومولاي إسماعيل كيحيى عراص وأحمد عراص.انقسموا في قلعية إلى مجموعتين: مجموعة استقرت ببني

---

108 - برومي عبد الوهاب ويوسف السعيدي: **إقليم كرت: التاريخ والثقافة،** ص:45.

سيدال، ومجموعة بأزغنغان، ومن قرائن قدمهم بمدشر أفرا ببني بويفرور، قدم المسجد والمقبرة المشتهرين باسمهم، وبشساعة مجالهم، وامتلاكهم لمساحات واسعة من الأراضي، وبيع أجزاء منها لباقي الفرق المكونة لمدشر أفرا.وبجانبهم استقرت فرقة إمحارفن، التي يعود أصلها إلى إني حدو علال بتازغين من فرقة أركيزثن.نزلوا عند خالهم موح علال أوعراص."[109]

وهكذا، يتبين لنا أن أسرة أعراصن من الأسر الأندلسية التي قامت بهجرتين: الأولى إلى مدينة باديس، والثانية إلى أزغنغان ، وبالضبط إلى أفرا؛ حيث تحققت لها المكانة السياسية والاجتماعية والاقتصادية الكبرى. بالإضافة إلى المكانة الدينية التي تتمثل في بناء المسجد باسم الأسرة.

وثمة أسماء أمازيغية أخرى من أصل أندلسي وموريسكي كالشامي، والشاوش، واليعقوبي، والعمراني، والقطبي، وعزيمان، والخطيب، وأمغار، وأعراب، والعاقل، والعمارتي، والعثماني، والفونتي، والقادري، والمالكي[110]، والقاضي[111]، والسراج [112]، والعشاش، والمنصور، والحاج، والمرابط[113]، والهامار[114]، و العمودي[115]، وعمور[116]، وأندلثي، وأندلسي، وأنصار[117]، وأنور، وأربي[118] ،

---

[109] - برومي عبد الوهاب ويوسف السعيدي: نفسه، ص:103.

[110] - أصل المالكي من مالقة.

[111] - أصل القاضي من كاديس الإسبانية.

[112] - نسبة إلى بني سراج، ومنهم من نزح إلى تونس. وبنو سراج عائلة غرناطية نالوا مناصب مهمة في عهد بني الأحمر، وبالضبط في القرن الخامس عشر الميلادي.

[113] - المرابطو (Almorabito).

[114] - الهامار بمعنى ابن الأحمر.ومن هنا، كلمة أزروهامار(Alhamar).

[115] - العمودي أو أمودي (Amudi).

[116] - عمور أو (Amor).

[117] - أنصار (Ansar).

وأسكار [119]، وعاطف، وعاطيمان، وعطية، وعبد الله، وعبد العزيز، وباجو، وبنقيد (بن قائد)، وبن طلحة (طلحة)، وبوعلي، وبوشتا، وقنديل، والقرطبي، وفارس، وغمراس (الغرماس)، وغوردو، والحضري، وحامد، والحطري، وهلال، وحسين، ولوكس ولوقش والوقاش، ولوقا، ومصباح، ومقدم، وموريno، وبراس أو بوراس، والريفي، والروبيو، وصبان (أصبان)، والصافي، وسليمان، والبشير وشريف (شريفي)، وزايدي، وشاتي (شاطىء)، ومانكو، والبشيري، وكوبيس، وأوشن (الديب)، والغماري، والصقلي، وبلانكو، والعلوي، وبونو، ومراس، ومواق، وقنديل، وبيجو، والخراط، والمرسي، وقريش، والحضري، والكراندي[120]، وموريno[121]، والخضري، والسعيدي، والراضي، والبراق، وعياد، واللغميش، وسلامة، واعليلو، وحلحول، والرندي،والمخلوفي، وفارح، وبوراس، والغماري، وهلال، وطلحة، وبنطاهر، والجابري، والبغدادي، والعراقي، والمقريني، وأوراغ، وبلكا ، وبيشو، وفارسي، وفارس، وكربيلا،ولمدغري، ومالو، ومريمي، ولكحل، ومرغيش، وناصري، وبن عدي، وبن طاهر، وبنعمرو، وبنقدور، وبنعبد الله، ودعنون، والحافي، والعافي، والعمري، والعمالي، وفرج، والكويندي، وزارو، والركيك،والرحموني،والعدك، وقريون، والفهري، والأزرق(أزيزا)، وسوسان، وبوعياد، وبن يحيى، والأبيض، وأشملال، وشملال، والوافي، والأشقر، والمريني، والجعيدي، والعمراني، والعروصي، والحداد (إيحدادان)، والسباعي، والريكلي، والكعاك، والبسطي، ...

[118] - أربي (Arbi).
[119] - اسكار أو عسكر (Ascar).
[120] - نسبة إلى غرناطة.
[121] - ويعد مورينو من الأسماء اليهودية إلى جانب سحنون بمنطقة الريف.

وتبقى هذه المقاربة التاريخية للأسماء نسبية ليس إلا؛ لأن هناك أسماء اتخذتها العائلات الريفية، دون أن يكون لها موقع أو موضع ما في الشجرات الانتسابية الجنيالوجية أو السلالية الحقيقية، أو يكون لها سند تارخي يدعم اسمها أو لقبها أو كنيتها، أو يكون هناك مصدر موثوق يثبت صحة ذلك الاسم.بمعنى أنها أسماء فرضت عليهم من قبل الإدارة المغربية، أو اختاروها بمحض إرادتهم، أو هي مجرد ألقاب مجتمعية وصف بها أناس معينون، أو قد تعد -فعلا- أسماء حقيقية لها ارتباط بوجود عائلات حقيقية نزحت من الأندلس أو طردت منها.

الفصل الثالث:

الأنشطة السوسيو- اقتصادية و الثقافية

من الصعب جدا الحديث عن الأنشطة السوسيو- اقتصادية والثقافية للموريسكيين بمنطقة الريف؛ لأن أغلب المُهجّرين إلى هذه المنطقة قد ارتحلوا إلى مدن مغربية مجاورة كتطوان، وشفشاون، وطنجة، وأصيلة، وفاس، ومكناس، وغيرها من المدن، على أساس أن هذه المنطقة لم تكن جذابة سياسيا، واجتماعيا، واقتصاديا، وثقافيا، ودينيا، وحضاريا. كما تنقصنا الوثائق التي تثبت استقرار هؤلاء في المنطقة . وبالتالي، نشير إلى أنواع الأنشطة المختلفة التي كان يمارسونها. وما نعرفه أن أمازيغ الريف قد اختلطوا بالمهاجرين الأندلسيين ، سواء أكانوا عربا أم موريسكيين أم يهودا أم بربرا مهجرين.وقد ساعد هذا الاحتكاك والانصهار على التبادل الثقافي (Acculturation) من جهة، والاستفادة النسبية من الحضارة الوافدة من جهة أخرى.

المطلب الأول: المجال الاقتصادي

تأثر الريفيون كثيرا بمهارة الموريسكيين في المجال الاقتصادي، ولاسيما الفلاحة، والصناعة، والتجارة، والصيد البحري.

الفرع الأول: الجانب الفلاحي

لقد اهتم الموريسكوس الريفيون بالفلاحة والري وتربية المواشي، والاهتمام بالتشجير، وبناء السواقي التي تستخدم في ري الضيعات الزراعية التي كانت قريبة من الأنهار والوديان، كما يبدو ذلك واضحا على جوانب نهري نكور وغيس. كما اعتنوا بغرس أشجار الزيتون، والتين[122]، والكمثرى(الإجاص/ الفيراس) [123]،

---

[122] - أحسن التين هو التين المالقي نسبة إلى مالقة الأندلسية. ويسمى لدى الريفيين بتاملقيت. وهناك صنف جيد يعرف بـ" أغوداني" نسبة لمدينة دانية (Higo de Denia).

[123] - يسمى الإجاص في الريفية بالفيراس (Peras) تأثرا بالتسمية الأندلسية.

والرمـان[124]، إلـى جانـب الحبـوب، والبرقـوق، واللـوز، والصـبار، والعنب، والفلفل، والخضر، والفواكه...وكان الريفيون يزرعون فـي الجبـال الـوعرة وعلـى ضـفاف الوديـان، مستعملين فـي ذلـك الأدوات التقليدية كالمحراث الخشبي، والاستعانة بـالحيوانـات الأليفـة كالحمـار والبغل والخيول التي تعد من الرواحل والـدواب المهمـة التـي تـتلاءم مع وعورة التضاريس، وارتفاع الجبال.

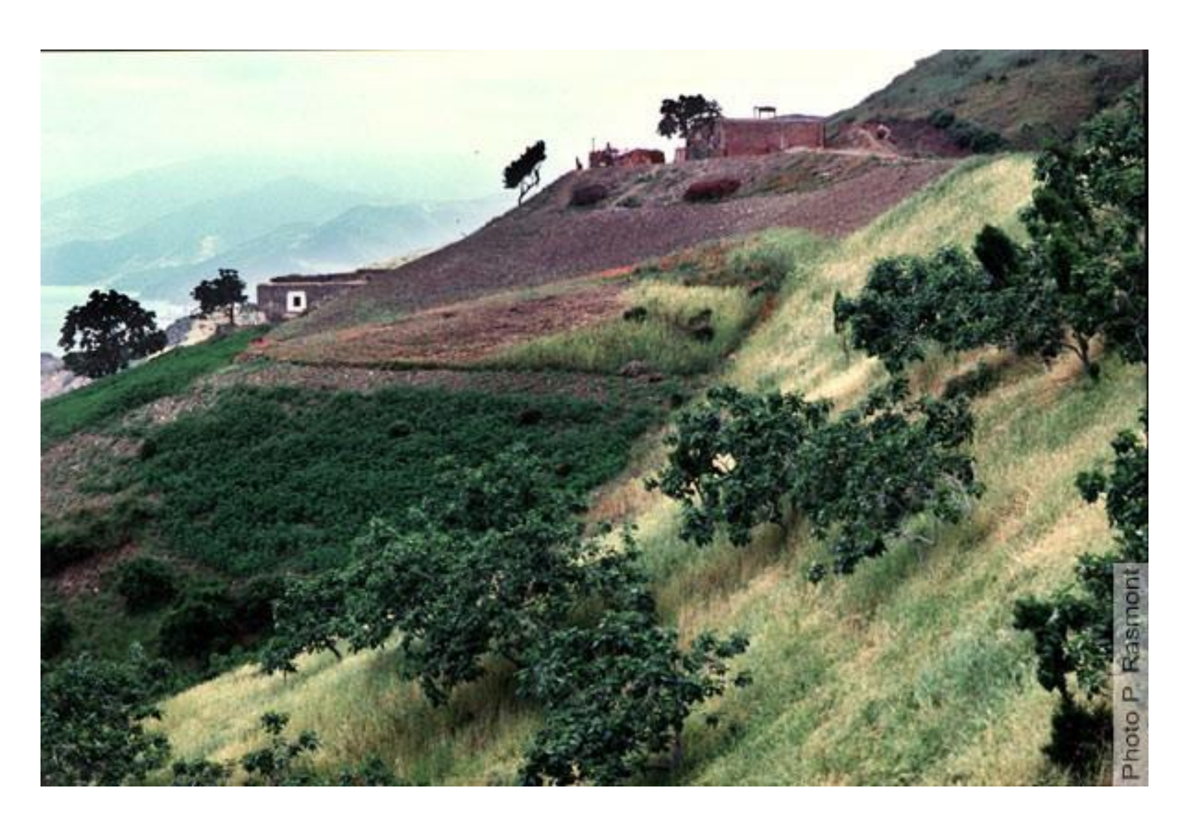


صورة تبين نوع السكن ونوع المزروعات

وكـانوا يستعملون دواليـب لطحـن الحبـوب وعصـر الزيتـون. وهنـا، يمكن الحديث عن المطـاحن السفلى والمطـاحن العليـا حسـب موقعهـا في أعلى الجبل أو الأرض، أو في السهول وعمق الأرض.

---

124 ـ يعد الرمان التمسماني من أفضل الأصناف جودة، وحجما، ولذة، وأرق حبا. وهناك الرمان القشري أو القمحي هو أقل جودة من الأول ، وكان منتشرا بمنطقة النكور.



الأراضي الجبلية في منطقة الريف



السكن في جبال الريف

وكـان الريفيـون يجففـون المنتجـات الريفيـة فـوق السـطوح لبيعهـا أو الاستفادة منهـا فـي مختلف أوقـات السنـة، كتجفيف الصبار والزبيب علـى سـبيل التمثيـل لـيس إلا. وغالبـا، مـا كـان الإنسـان الأمـازيغي الريفي يلتجىء إلى تمديد سقف المسكن ليغطـي جزءا من الفنـاء " بما يقارب المترين؛ حيث تسند علـى عارضـة أفقيـة توضـع بـدورها على دعامات خشبية عموديـة مثبتـة فـي الأرض، وتشكل ، بالتـالي، سقيفة تحيط بالفناء وتستعمل كمنصـة لتجفيف الفواكه اليابسـة خـلال الصـيف. توضـع ميازيـب " رميـزاب" خشـبية علـى طـول محـيط السطح لتجميع مياه الأمطار".[125]

إذاً، فمن مظاهر التأثير الموريسكي في الريفيين الاهتمام بالتين المجفف، وعصر الزيتون من أجل الحصول على الزيت. علاوة على الاهتمام بتربية النحل للمتاجرة في العسل، وكانوا يتاجرون في السمن، وكانوا أيضا يصنعون لحم القديد بعد ذبح الأضاحي.

و" تشكل زراعة الحبوب من قمح وشعير وقصيل للدواب، الواسعة الانتشار في البعل والسقي بكافة أنحاء بلاد نكور أصل معاش الناس والبهائم.ولعل في كثرة ما اتخذ من أرحى على وادي نكور وغيس وغيرهما من المجاري المائية، ما يشكف عن وفرة الإنتاج.وقد ظل أهل نكور، منذ عهد بني صالح إلى فجر العصر الحديث، مشهورين في الآفاق بكثرة ما يحرثون من أرضه ويحصدون منه الكميات العظيمة من القمح.وقد بلغ رَفعُهم من الأهمية أن صارت معايير ثروتهم تقاس بما يملكون من زروع ومواش."[126]

---

[125] ـ دايفيد مونتكمري هارت: **أيت ورياغر**، الجزء الأول، ترجمة محمد أونيا وآخران، نشر جمعية صوت الديمقراطيين المغاربة في هولندا، الطبعة الأولى 2007م، ص:250.ص:47.

[126] ـ أحمد الطاهري: نفسه، ص:210.

وكانت الحبوب تخزن في المطامر والمخازن المخصصة لذلك. وفي هذا، يقول أحمد الطاهري:" دأب أهل نكور على اتخاذ المطامر والمخازن لادخار الحبوب وحفظ الأقوات. وبصرف النظر عن المخازن الباطنية التي تم العثور عليها بالموقع الأثري لحاضرة نكور، مازالت خرائب مدينة بادس تعج بالمطامر التي وقفنا على بعضها في أكثر من مناسبة، من خلال معاينات سطحية. وقد تمكنا خلال صيف 1998 من العثور على ما ينوف عن عشرين مطمورة لحفظ الحبوب محفورة في الصخر الكلسي، مازالت في حالة جيدة.ويتعلق الأمر بموقع أثري، لم يخضع بعد لما يستحقه من دراسة، وقفنا عليه بالمكان المعروف لدى أهل البلد بإكرى أمقران بأعلى قمة جبل أبي الحسن بتمسمان ."[127]



مخازن تبن الدواب

[127] ـ أحمد الطاهري: نفسه، ص:210.



مخازن تبن الدواب

علاوة على ذلك، فلقد كان الريفيون الموريسكيون يهتمون كثيرا بزراعة أشجار الزيتون، ويزرعونها في السهول والهضاب والجبال وقرب الأنهار والوديان.ويهتمون بالصبار (الشوك الهندي) اهتماما كبيرا، ويبيعونه في الأسواق اليومية أو الأسبوعية، وكانوا يجنونه إما باليد مباشرة، وإما بقصب مخصص لذلك في شكل مقلع قصبي. كما كانوا يعتنون بهندسة المياه بشكل جيد؛ حيث كانوا يسهرون على وضع مجموعة من القنوات والممرات المائية التي تجلب الماء من الأنهار والوديان، فتقسم تلك المياه بين الفلاحين بشكل عادل، أو بحسب التناوب والدورات. " ويظل التحكم في توزيع المياه على كافة الحقول بأعدل الحصص في أثناء الفصل الجاف الهدف المحوري المتوخى من منظومة السّداد والسواقي التي أنشئت على وادي نكور.وهو مايعرف في اصطلاح الفلاحين بالسقي

بـ"النوبة".ويعمدون في إطار نظام الجماعة إلى تحديد كافة المستفيدين وفق أدق أنظمة المحاصصة، فيقتسمون الماء على دُوَل معلومة بينهم على مدار الساعة، ليلا ونهارا من طلوع الشمس إلى غروبها طوال أيام الأسبوع[128]."

وقد تكون النوبة مزدوجة ، " فإن حصلت الأولى لفرقة ما بالليل، أصبحت نوبتهم الثانية بالنهار، بما يحقق أعلى درجات الإنصاف.ويتعهد جميع من يستسقي بالنوبة على ساقية معلومة بصيانتها وإعادة ترميم سدها إذا انخرمت منشأته بفعل تدفق السيول، تحت إشراف خبير معروف بمهاراته. ويتم ضبط المساطر والإجراءات الكفيلة بإثبات وإغرام كل من سولت له نفسه التسور على نوبة غيره.

وهو النظام الذي ظل متوارثا لدى أهل نكور منذ عصر بني صالح إلى ثمانينيات القرن الماضي.ويتعلق الأمر بالأصول المبكرة لما عرف في الأندلس وبجهة بلنسية على وجه التحديد بـ"وكالة الساقية" ومحاكم المياه التي أطنب الدارسون في تناولها دون إشارة إلى أصولها المبكرة ببلاد نكور."[129]

وفيما يخص المناطق التي لاتتوفر فيها المياه الجارية ، أو تحوي عيونا جوفية وباطنية، " فقد تم اللجوء فيها إلى الاستنباط بحفر الآبار وتجهزيها بالدواليب والصهاريج. ويمكن تلمس الخيوط الدالة على تجريب هذه التقنية أيضا منذ وقت مبكر في بلاد نكور، قبل تعميمها في أنحاء الأندلس. فقد ذكر محمد بن يوسف الوراق التاريخي رجل " مرسى بادس..ينبط المياه في المواضع التي لايعهد

---

[128] ـ أحمد الطاهري: نفسه، ص:205.

[129] ـ أحمد الطاهري: نفسه، ص:206.

فيها ماء عيونا وآبارا، وأنه يخبر بقرب الماء وبعده، وأنه إنما يستدل على ذلك باستنشاق هواء ذلك الموضع".

ساهم تحكم أهل نكور في هندسة المياه الجارية واستنباط العيون الجوفية في تطوير تقنياتهم السقوية باستخدام الدواليب والسواني المحركة وإنشاء الأرحى المائية.وليس أدل على ذلك من كثرة ما أنشأوه على نهريه من الأرحاء.والمقصود نهري نكور وغيس."[130]

وكان الموريسكيون الريفيون يجلبون الماء من أماكن بعيدة أو قريبة، أوينتقلون إليها عبر الحيوانات ولمسافة بعيدة. وكانوا يقتصدون في الماء اقتصادا كبيرا؛ حيث كانوا يبنون لها سدودا حصينة ومانعة خوفا من توالي سنوات الجفاف، وخشية من قلة المياه ؛ لأن منطقة الريف كانت تعرف جدبا قاحلا من حين لآخر. وكان هؤلاء يتبعون الطرائق الأندلسية الإسلامية في ري الأراضي، وسقي المزروعات. ومن ثم،" تشكل السداد (السدود الصغيرة جدا) المبنية على يمين ويسار النهر حتى يسقي كافة الحقول الممتدة أسفله، أهم الوسائل المسخرة للتحكم في قوة اندفاع المياه الجارية في سريره وتوزيعها بشكل متوازن على كافة الحقول.وانطلاقا من السداد النفتوحة في نقاط محددة على طول مجرى وادي نكور، تم تفريع كبريات السواقي الموزونة الانحدار، المضبوطة الاتجاه، وفق أدق حسابات هندسة المياه."[131]

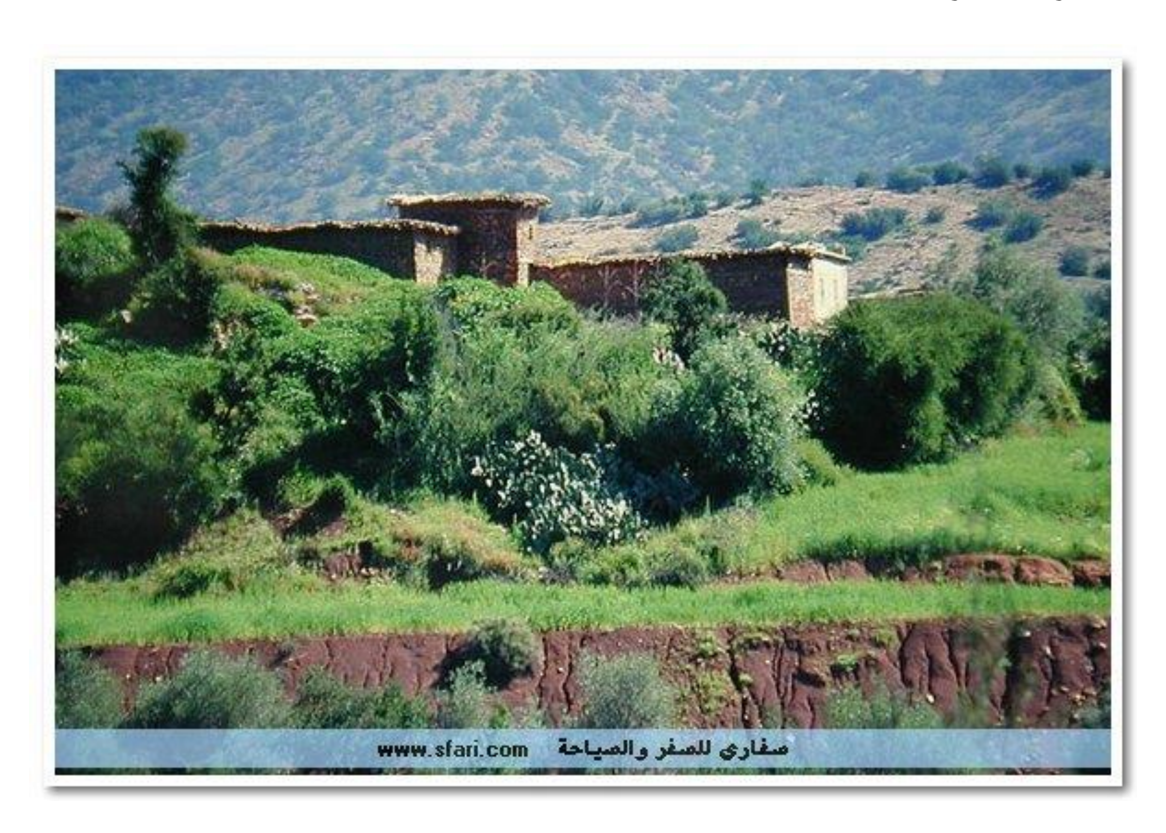
ويعني هذا أن منطقة الريف كانت معروفة بكثرة السواقي والأنهار والوديان والسدود التي تجري فيها المياه من فترة لأخرى ، وحسب تقلبات الفصول، وكانت في بعض الأحيان تعلو فوق سطح البحر،

---

[130] - أحمد الطاهري: نفسه، ص:206.
[131] - أحمد الطاهري: نفسه، ص:203.

وتحدث فيضانات وسيولا تجرف كل شيء في طريقها، كما هو حال وديان نكور، و تمسمان، ودريوش، وبوغافر، مثلا.

وكان الموريسكيون الريفيون أيضا لايتركون الأرض فارغة وبورا، بل كانوا يزرعونها بهمة وعزم وإصرار وتحد، ولو كانت في أعالي الجبال. وكانوا يولون الزراعة الحبوبية أهمية كبرى؛ لأنها أساس حياتهم و معاشهم. وكانوا يعتنون بالتين، والعسل، والرمان، والذرة، وقصب السكر... وكان الفلاحون الموريسكوس يتميزون بكثرة النشاط والعمل الدؤوب، ويعتنون أيضا بالبستنة والزراعة المعيشية في أراضيهم التي تحيط بمنازلهم المسيجة بالجدران والأسوار الحجرية، والطينية، والنباتية، والشوكية. فضلا عن اهتمامهم الشديد بمناقع المياه، والصهاريج المبنية، وبرك الماء، وحفر الآبار لجلب المياه.



اهتمام الريفيين الموريسكيين بالبستنة



الاهتمام بالبستنة والتشجير بالريف

ويتطابق هذا مع ما أشار إليه خانير عندما تحدث عن الفلاحة عند الموريسكيين الأصليين في الأندلس:" كانت نواحي غرناطة توزع فيها المياه بشكل هندسي عجيب، فتروى الأرض وتجعلها صالحة للزراعة، وكان يشمل التوزيع كل تلك الناحية إلى أعالي جبال البوشارات كل هذا يرجع الفضل فيه إلى السلالة العربية، فكنت ترى في أعالي قمم الجبال العنب والزيتون، ونفس الشيء كنت تراه أيضا في بعض النقط من كاطالونيا وبلنسية، فكانوا لايتركون قطعة أرض إلا ويغتنمونها للفلاحة أو غير ذلك. بل ويتسلقون أراضي وعرة في الجبال فيحرثونها ويجعلونها منتجة ومفيدة، فإذا كانت في حاجة إلى الماء يجلبونه بأية وسيلة كانت، حتى يجعلونها صالحة للإنتاج مما يدل على كدهم ونشاطهم في هذا الباب، فقد تفننوا في هندسة المياه وتنويعها بشكل أدهش المهندسيين المحدثين، ومازلنا نشاهد لحد الآن آثار ذلك في غرناطة وتطوان، أما ري الحقول، فما

زال على الطريقة الإسلامية القديمة ببلنسية، وكثير من أسماء أدوات الزراعة والفلاحة عربية."[132]

وكان الموريسكون الريفيون يهتمون أيضا بتربية النحل والدجاج من جهة، وتربية المواشي من جهة أخرى، كالأغنام، والماعز، والأبقار، فيعتنون بجلودها التي يستعملونها في صناعة الملابس والأكياس ووسائل الراحة (الهيدورة)، ويستغلون روثها في رفع مردودية المنتج الزراعي، وتخصيب الأرض، فكانت تقوم بالدور نفسه الذي تقوم به الأسمدة حاليا.

الفرع الثاني: الجانب الصناعي

لقد اهتم الموريسكيون الذين نزحوا إلى منطقة الريف بالمجال الصناعي، بصنع الأدوات المنزلية الطينية وزخرفتها وتنميقها. كما اشتغلوا بالحدادة، والخرازة، وصنع الأواني بالنار. فضلا عن اهتمامهم بالصناعة التقليدية الأصيلة كصناعة الجلد، وصناعة الزجاج، ووحياكة الثياب، وصناعة الملابس والحلي والجلابيب التي تتلاءم مع البيئة الريفية شتاء وصيفا.

وقد كانت منطقة الريف تتوفر على مجموعة من المعادن الخامة كالحديد الذي كان يوجد بالناظور وتمسمان ؛ مما شجع على تطوير صناعة الحدادة بالريف الشرقي والأوسط. وكانت الريف تزخر بمعدن الرصاص الذي كان يستخرج من بلاد بقوية وبني يطفت، وكان هناك معدن النحاس.وقد انتشرت بالمنطقة صناعة الزجاج لوجود قطع زجاجية بحاضرة النكور، ولاسيما الزجاج المنمق بالفضة. فضلا عن صناعة الخشب لوجود أشجار العرعر والأرز، وصناعة الذهب والفضة ومعالجة المعادن النفيسة، وصناعة

---

[132] - نقلا عن محمد قشتيليو: نفسه، ص:107-108.

المنتجات الخزفية التي تستعمل في صنع الأبواب والأعمدة وهندسة البيوت على شاكلة الهندسة المعمارية الأندلسية . فضلا عن صناعة الجرار والأطباق والأواني الخزفية المخدومة باليد.

وكانت هناك قطع نقدية بمنطقة النكور سُكّت باسم الخليفة الأموي هشام المؤيد ، وقد جمع مسكوكاتها المستعرب الإسباني باسكوال غويانغوس (1809-1897م)[133].

ويعني هذا أن الموريسكيين الريفيين كانوا يتعاملون بالنقود الأندلسية. ويدل هذا على أن الريف كانت تابعة ، في ولائها السياسي والمجتمعي، للأندلس من جهة، وللدول المغربية المتعاقبة من جهة أخرى.

كما اهتم اليهود الموريسكوس بالصناعة بشكل أخص، فقد كانوا يتواجدون في أحياء وأبواب خاصة بهم، في منطقة بني ورياغل، وتمسمان، وبني سيدال، والناظور. وقد مارسوا الصناعة والتجارة على حد سواء. ومن ثم، فلقد اهتموا بالصياغة وصناعة الحلي وأدوات الزينة، وامتهنوا الحدادة. كما اعتنوا بالخياطة، وصناعة الأقمشة، وبيع الثياب والحبوب والسلع والبضائع ، وكانوا يصنعون البرادع. فضلا عن الحجامة وممارسة الطب والسحر، وبيع النعال وإصلاحها، وصناعة السلال. وكانوا يتحكمون، فعليا، في دواليب الاقتصاد المحلي بمعرفتهم الحرفية، وخبرتهم المهنية ، واهتمامهم الكبير بتكديس الأموال.

الفرع الثالث: الجانب التجاري

لقد مارس الموريسكيون التجارة في منطقة الريف تصديرا واستيرادا، ولاسيما اليهود منهم الذين كانوا يحسنون ممارسة

---

[133] ـ أحمد الطاهري: نفسه، صص:221-225.

التجـارة ؛ بسـبب مـا يملكونـه مـن رأسـمال مـادي، ومـالي، وثقـافي، ومهني. وكان مرسى بادس من أهم الموانىء الريفية ؛ حيث عرف انتعاشـا اقتصـاديا وتجاريـا مهمـا، إلـى جانـب دوره فـي مقاومـة المـد المسيحي. بمعنى أن بادس كانت تعتبر" حصنا دفاعيا ضد القرصنة المسـيحية التـي كانـت تهـدد باسـتمرار السـواحل الشـمالية، وهـذا الاهتمـام يتجلـى بوضـوح عنـدما أمـر يوسـف بعمـارة الأجفـان بمدينـة سبتة وطنجـة وبـادس...وعمر الأمير يوسـف بطنجـة وسـلا وبـادس وأنفا خمسة عشر جفنا.

وهـذا الإجـراء يـدل علـى الاسـتعداد الـذي أظهـره المرينيـون برسـم الجهـاد بالأنـدلس، إذ إن العبـور الأول الـذي قـاموا بـه إلـى الأنـدلس شاركت فيه جميع القابل المغربية بعد الصلح الذي تم مع يغمراسن ، وحققوا نصرا عظيما في موقعة المنكب."[134]

وقـد شـهدت منطقـة الريـف انتعاشـا اقتصـاديا مهمـا، ورخـاء تجاريـا كبيـرا فـي العهـد المرينـي، علـى الـرغم مـن" سـنوات العجـاف التـي مرت بالمنطقة في العهد الموحدي حسب ما أورده صاحب مناقب البادسي، فإن هذا النشـاط الاقتصـادي استمر أيـام المـرينيين ممـا أدى إلى توافد عدد كبير من الأسر والجماعـات سواء من الشـرق أو من الأندلس إلى المنطقة."[135]

وقد أصبحت بادس قبلة الأندلسيين من مالقة على سبيل التخصيص إبان عصر المرينيين.

ومـن جهـة أخـرى، فلقـد عرفـت منطقـة الريـف عـدة مسـالك بريـة وبحريـة أسـهمت فـي انتعـاش التجـارة المحليـة التـي كانـت تقـوم علـى المقايضة من جهة، والتبـادل مـن جهـة أخـرى، وكـان الـدفع التجـاري

[134] ـ عبد الرحمن الطيبي: **الريف قبل الحماية**، ص:39.
[135] ـ عبد الرحمن الطيبي: نفسه، ص:39.

يتحقق بالتسديد المالي الفوري ، وإما بالتسديد المؤجل في شكل قروض، وديون، وسلفات. وكانت التجارة تتم مع الأندلسيين، والإسبان، والبرتغال . كما كانت تتم بين أقطار أفريقية بما فيها الجزائر، وتونس، وليبيا، ومصر، وغيرها من الدول الإسلامية ودول جنوب الصحراء، ودول الشرق الأوسط والأقصى[136].

وكانت منطقة الريف تتميز بتجارة الحبوب والخضر والفواكه، وتجارة السمك، وتجارة الدواب والمواشي، وتجارة الذهب والفضة، وتجارة المعادن، وتجارة العبيد والرقيق والصقالبة[137]، وغيرها من الأنشطة التجارية الأخرى.[138]

الفرع الرابع: الصيد البحري والجانب الملاحي والجهادي

لقد اهتم الموريسكوس الريفيون بالصيد البحري، ولاسيما أن هؤلاء كانت لهم تجربة كبيرة مع البحر لنزوح معظم هؤلاء من المدن الأندلسية الشاطئية أو الساحلية كمالقة وقادس على سبيل المثال. وقد كانت بادس مدينة اقتصادية بامتياز. فقد قال عنها البكري:" وبمدينة بادس حصنان فيهما جامع وأسواق وبسائط ومزارع جليلة يزدرعون بها الشعير مرتين في العام على مياه سائحة كثيرة عندهم.[139]"

ومن هنا، فلقد نقلوا تجاربهم المتعلقة بالصيد البحري، وطريقة التعامل مع البحر من أجل الاستفادة من ثرواته السمكية. وكان

---

136 ـ أحمد الطاهري: نفسه، ص:217.

137 ـ عبيد الصقالبة هم عبيد بيض كان يمارس تجارتها اليهود، ويجلبون العبيد من روسيا وبلاد البلغار.

138 ـ أحمد الطاهري: نفسه، ص:219.

139 ـ عبيد الله البكري:**المسالك والممالك،** الجزء الخاص ببلاد المغرب، دراسة وتحقيق زينب الهكاري، رباط نيت، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2012م، ص:169.

لهؤلاء الموريسكيين دراية مهنية وحرفية تامة في صنع السفن والمراكب والقوارب والعمل على إصلاحها من حين لآخر. وقد كان منهم أمراء البحر الذين يسهرون على سلامة السفينة وتدبير شؤونها. وكانت لهم دراية بطرق البحر ليلا بواسطة حركة النجوم. ويعني هذا أن لديهم ثقافة بحرية مهمة جدا. ويعد مرسى بادس " نقطة هامة للتبادل التجاري ومقاومة المد المسيحي.[140]"

وقد كان مرسى بادس يتسع لثلاثين مركبا ، وقد كانت سفن بادس تتميز بخفة الوزن والسرعة في البحر.لذا، يصعب على العدو ملاحقتها ومحاصرتها [141]. ولقد كانت هذه السفن أيضا مصدرا للنشاط القرصني الذي توجه ضد السواحل الأندلسية، وقد حقق أرباحا مالية طائلة بالمتاجرة مع مختلف موانىء البحر الأبيض المتوسط من جهة أولى، أو قيامه بوظيفة المساعدة للأندلسيين في مواجهتهم للإسبان من جهة ثانية، أو لممارسة النشاط القرصني ضد الإبيريين من جهة ثالثة.

ومن ثم، فلقد ساهم ميناء بادس في تشجيع الحركة التجارية والاقتصادية، بالتعامل مع الأندلسيين بصفة خاصة، وقد دخل هذا الميناء التجاري في مقاومة منيعة ضد المد المسيحي." ومنذ بداية الغزو المسيحي على البحر الأبيض المتوسط بصفة عامة، وعلى ساحل قبائل الريف الأوسط بصفة خاصة، نلمس بوضوح انعزال المنطقة وتراجعها من الناحية التجارية، إذ أثر هذا التوسع الأجنبي في المسالك التجارية التي تربط المنطقة بالأندلس وبالمنطقة الشرقية عبر الساحل، والتي كانت لها علاقة تجارية متينة مع مدينة بادس.ولاشك أن وجود رباطات الصالحين أذكت في قلوب السكان

---

[140] - عبد الرحمن الطيبي: نفسه، ص:21.

[141] - عبد الرحمن الطيبي: نفسه، ص:43.

روح المقاومة ضد المسيحيين، كما كانت سابقا أيام الموحدين والمرينيين.ولقد تركزت حركة الجهاد البحري على طول الساحل المتوسطي، وبالأساس حول بادس والمزمة والمراسي الشرقية لبلاد الريف، وساعدت على حركة المقاومة وجود عدد من الخلجان القابلة لإيواء المراكب الصغيرة."[142]

وثمة أسر أندلسية موريسكية كانت تعنى بالجهاد البحري في منطقة بادس، ومن أشهرها ، حسب الوثائق والمعطيات التاريخية التي توصلنا إليها، **أسرة أعراص** الباديسية " التي كانت سفنهم تجوب الساحل الريفي من قلعية إلى بادس.كما قامت أيضا هذه الأسرة بتقديم المساعدة لمسلمي الأندلس، الشيء الذي أثار قلق ممكلة قشتالة وأراغون (Castilla Y Aragon) من تلك العمليات الجهادية الريفية في البحر. مع العلم أن منطقة بادس كانت تعتبر بالنسبة للمسيحيين عش القرصنة الإسلامية. وهذا ما جعل الصراع يحتد بشكل عنيف مع بداية القرن السادس عشر، بعد التوغل المسيحي في المنطقة واحتلالهم لبعض المراكز الساحلية كجزيرة بادس، وبعد ذلك أصبح المسلمون يتوجهون للمسيحيين قصد الاستعانة بهم خلال الصراع حول السلطة المركزية. وبالتالي أدى الاحتكاك المستمر بين الإبيريين والمسلمين إلى ربط علاقات معهم على الصعيد الإقليمي أيام ضعف السلطة المركزية. وهكذا، مالت العلاقات لصالح الأوروبيين إلى غاية القرن التاسع عشر.في حين، عرفت الدولة المغربية تراجعا وانكماشا أمام الزحف الأوروبي."[143]

[142] - عبد الرحمن الطيبي: نفسه، ص:40.

[143] - عبد الرحمن الطيبي: نفسه، ص:40-41.

ولقد نشط الجهاد البحري بموانىء الريف منذ القرن الخامس عشر الميلادي، بعد سقوط غرناطة بالتحديد. ويعني هذا أن الاصطدامات بين الإيبيريين والمسلمين كانت تتزايد مع هذا القرن بالذات؛" إذ نجد سكان قبائل ساحل الريف الأوسط منذ أحداث غرناطة بدأوا يعبرون إلى الساحل الأندلسي لتقديم المساعدات الضرورية للمسلمين، وخاصة منهم أولئك الذين التحقوا بالأندلس من مدينة بادس بقصد استخدامهم في الجيش على عهد أبي عبد الله الحجاج يوسف.وكانت هذه المغامرات خطيرة جدا على النصارى حسب ما أورده كل من فيغيراس (Figueras) وخيرونيمو زوريتا(Geronimo Zurita) .وكان الإسبان بدورهم يقومون بالقرصنة في الشاطىء الريفي قبل هذا القرن، وقد أشار البادسي إلى أن رجلا سافر من بادس إلى سبتة، وتعرض للقرصنة المسيحية قرب شاطىء بادس، ومن حسن الصدف أن انكسرت السفينة التي تحمله بالقرب من مرسى يليش، وتسارع الناس برا وبحرا وأسروا كل النصارى وأخذوهم إلى بادس.

وواضح أن هذه الهجومات الإيبيرية على الساحل الريفي كانت تتم في إطار الانتقام من المسلمين بعد حرب الاسترداد التي قامت بها إسبانيا."[144]

وهكذا، يتبين لنا أن الموريسكيين الريفيون كانوا يهتمون بالملاحة البحرية والجهاد البحري والقرصنة انتقاما من الإسبان الذين طردوهم من بلاد الأندلس، وكانوا يجنون من وراء ذلك أرباحا طائلة، باندفاعهم ضد سواحل غرناطة، أو لمساعدة الأندلسيين في

---

[144] ـ عبد الرحمن الطيبي: نفسه، ص:41

حروبهم ضد الطغيان الإسباني . ولهذا السبب، أمر فرديناند رجال البحر بالخروج إليهم ومحاربتهم[145].

هؤلاء يقعون أسرى في أثناء عمليات القرصنة البحرية. وقد توجه السفير المغربي الوزير الغساني إلى إسبانيا من أجل فك الأسرى المسلمين، واسترجاع الكتب الأندلسية، كما يبدو ذلك واضحا في كتابه (**رحلة الوزير في افتكاك الأسير**)، وكان الأسرى في الغالب من الموريسكيين المأسورين في الجهاد البحري[146].

ويعني هذا كله أن موانىء الريف قد كان لها دور كبير في الملاحة البحرية ، وممارسة الجهاد البحري من أجل الانتقام من الإسبان المسيحيين الذين طردوا الأندلسيين من بلادهم دون الحصول على حقوقهم وممتلكاتهم.

المطلب الثاني: الطقوس والعادات والتقاليد

لقد كان الموريسكيون، من حيث الطقوس والتقاليد والعادات والأعراف والحفلات، مهتمين بالكسكس المرفق بالمرق أو الحليب، وتزيينه بمختلف مكوناته المصاحبة من خضر متنوعة، وكانوا أيضا معروفين " بتقطيع لحم الحيوان قطعا ، وطبخ هذه القطع في المرق، وعادة ما تكون المرق من المواد الدسمة والخضر أو الغلال أو الفواكه وتكون قطع اللحم وسطا وصغارا، وإلى جانب طبخ اللحوم في المرق، يكثر الشواء وتشوى اللحوم في سفافيد على النار أو تقلى في الزيت.وهذه عادة مازالت إلى اليوم تتبع في بيوتات

145 ـ عبد الرحمن الطيبي: نفسه، ص:41.
146 ـ الحسين السايح: نفسه، ص:79.

الشمال بصفة خاصة وفي بيوتات المغرب كله تقريبا بصفة عامة."[147]

وكان الريفيون أيضا يستعينون بالكف للاتقاء من عيون الناس التي تستطيع أن تصيبهم، وهي ظاهرة أندلسية معروفة عند الموريسكيين. وفي هذا، يقول محمد رزوق:" ومن بين العادات التي حملها معهم الموريسكيون إلى المغرب صورة الكف، وهي من بعض المعتقدات المسيحية التي رسخت في أذهان الموريسكيين؛ لأن الكف هي كف مريم البتول، وتعتبر في معتقداتهم مانعة من الأرواح الشريرة، وتطرد كل شيطان رجيم، وقد جمع الموريسكيون التمسك بالكف إلى التمسك بالصليب، فكثير من الأبواب يعلوها صليب."[148]

كما تمسك الموريسكيون بعادات أخرى كعادة البستنة، والاهتمام بالورود والأزهار، وتجديل ظفائر الشعر، والمداومة على أكل الزبدة، والزيت، والعسل؛ والاهتمام بزخرفة المساجد، وقراءة القرآن، ولبس الجلابيب، وطلاء البيوت والمنازل بالجير الأبيض، وبناء المنازل على عادة الموريسكيين...

المطلب الثالث: الأزياء والحلي

لقد تعرف أمازيغيو الريف، رجالا ونساء، من حيث الأزياء، إلى مجموعة من الألبسة والأزياء كالسلهام أو البرنس، والتحتية، والفوقية، والبدعية (الصدرية)، والقفطان، والمضمة[149]، والبلغة، والحايك (الحاش)، والإزار (ريزار)، والدفينة (الدفين)، والقندورة،

---

[147] - محمد القاضي: (مظاهر الحضارة الأندلسية في شفشاون)، **مجلة التاريخ العربي**، الرباط، المغرب، العدد58، خريف2011م، ص:131.

[148] - محمد رزوق: نفسه، ص:349.

[149] - حزام لشد اللباس إلى الجسم.

والشاشية، والأحزمة (أحزام)، والسبنية، أو ما يسمى بالبنيقة (ثاسبناشت)[150] ، والشربيل، والمنديل، والكتان، والأقمشة الصوفية... علاوة على " صندوق العروس" الذي كان يصنع من عود العرعر الصلب في هيكل غاية في الكبر، لتجمع فيه العروس لباسها ورياشها ، وكان يستعمل أيضا في تجميع ثياب الزوجين، والحفاظ على الحلي الذهبية والفضية والمال والوثائق، وكان يقفل بمفتاح خاص لايفارق صاحب البيت أو الزوج[151].

وتُعرف النساء الريفيات بشعرهن الطويل الذي كان يتجمع في شكل ضفائر سوداء طويلة، وكان يغطى بالبنيقة أو بغطاء يخفي معالم هذا الشعر، وربما يكون ذلك تأثرا بالنساء اليهوديات أو النساء الغجريات.



حلي نساء الريف

---

[150] - البنيقة عبارة عن منديل تضعه النساء على رؤوسهن لجمع شعرهن.
[151] - محمد رزوق: نفسه، ص:319.

المطلب الرابع: المجال العلمي والثقافي والفني

لقد تميز الموريسكيون الريفيون بممارسة الأنشطة الثقافية والفنية والفكرية والأدبية على النحو التالي:

الفرع الأول: الحقل الثقافي والعلمي

لقد انتشر بين الموريسكيين الريفيين الزهد والتصوف والاعتكاف في الجبال، وبناء الروابط والزوايا الصوفية ذات الطابع العرفاني والروحاني ، والاهتمام بحفظ القرآن الكريم وتدريسه وتحفيظه. وكثر الأولياء الصالحون في منطقة الريف بكثرة ، ولاسيما الذين قدموا من الأندلس، وبالضبط المُهجّرين من مدينة مالقا. وكان هناك قضاة ومفتون ورجال علم محترمون في المنطقة. ويعني هذا أن العلم الذي انتشر في المنطقة كان علما دينيا بامتياز. ولقد عرف أهل نكور بالاستقامة والاقتداء في العقائد منذ أمراء بني صالح [152]. وقد أخذت منطقة الريف بالمذهب المالكي انسجاما مع استقامتهم وتعففهم.

ويعني هذا أن أهل الريف قد استفادوا من الموريسكيين الأندلسيين في مجال العلم، والثقافة، والفن، والفقه، والقضاء، والفتيا، والمشاورة، والقراءات القرآنية ، وعلوم الحديث. دون أن ننسى أن الشعر الأمازيغي بالريف قد استفاد كثيرا من رقة الشعر الأندلسي على مستوى الصياغة، بتمثل سلاسته اللغوية والأسلوبية، وتتبع ليونته التعبيرية، والتأثر بغزله العفيف، والانسياق وراء صفائه من حيث الخيال والتخييل، والاهتمام بوصف الطبيعة.

ولقد استفاد أهل الريف من العلماء والمثقفين الموريسكيين الذين كانوا يدرسون بجامع القرويين بفاس، أو الذين استقروا بشفشاون،

---

[152] ـ أحمد الطاهري: نفسه، ص:261.

وتطوان، وطنجة، والعرائش، ووزان؛ لأن طلبة الريف وعلماءه كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر طلبا للعلم. ومن ثم، فلقد كانت هجرتهم العلمية إلى الأندلس من قبل ، أو هجرتهم بعد ذلك إلى الحواضر المغربية المجاورة عاملا من عوامل التثاقف والتبادل العلمي والحضاري.

الفرع الثاني: الحقل الفني

ومن حيث الغناء والموسيقا ، فلقد عرفت منطقة الريف ظاهرة موسيقية وغنائية أندلسية بامتياز، تعرف بظاهرة الزفانة[153] ، أو ما يسمى عند الريفيين بـ (**ءيمذيازان**) ، وهم" جماعة من العازفين البهلوانيين الذين يجوبون القرى والمداشر باحثين عن مناسبات الفرح كالزفاف أو الختان أو ما إلى ذلك، لتقديم فرجاتهم الغنائية الراقصة.[154]"

ويعني هذا أن إمذيازان فرقة فنية أمازيغية غجرية موريسكية بامتياز، لها طقوس وتقاليد وأعراف داخلية خاصة بها، تهتم بالغناء والرقص والموسيقا من أجل كسب القوت اليومي. وكانوا ينتقلون من منطقة إلى أخرى ، أو من مدشر إلى آخر، بحثا عن المناسبات المفعمة بالفرح كالعرس، والعقيقة، والختان...من أجل تقديم فرجاتهم البهلوانية والشعبية، مستعينين بثامجا، والبندير، والمزمار(أزامار)، والدف... وتتكون فرقة إميذيازان من ثلاثة أو أربعة أشخاص أو أكثر، ويسمى الراقص شيخا، والراقصة الشيخة،

---

153 - محمد بودهان: **الزفانة بإقليم الناظور**، بحث لنيل الإجازة في علم الاجتماع، فاس، المغرب، الموسم الجامعي1975-1976م.

154 - مصطفى رمضاني: (بعض الظواهر الشعبية ذات الطابع الدرامي في المنطقة الشرقية من المغرب)، **مجلة جمعية تاريخ المغرب**، وجدة، المغرب، العدد1يونيو 1993م، ص:120.

إلى جانب الأشخاص الآخرين كالزمار، والضارب على البندير، والبراح...

وكان إمذيازان فئة مهمشة ومنبوذة ومحتقرة اجتماعيا؛ لأنها كانت معروفة بالخمول والكسل والوهن، ومنعزلة عن المجتمع في أماكن نائية وبعيدة عن الناس، ويتمثل السبب في هذا الاحتقار في" عدم امتلاك هؤلاء الموسيقيين للأرض، وهو ما يبقيهم تحت رحمة العطايا التي يجود بها الساهرون على الاحتفالات الريفية أو القادمون لحضور فرجاتها المختلفة."[155]

وقد انتشر هؤلاء في معظم بقاع منطقة الريف كآيث سيدال، وآيث عروس، وآيث توزين، ووإمزيلن، وتمسمان...، و" تربطهم صلات روحية خاصة بضريح الولي الصالح سيدي شعيب أونفتاح الذين يعمدون إلى زيارته بشكل دوري، اعتقادا منهم أنه المكان الأنسب للتمرس وصقل الموهبة والفوز باللقب الغنائي.[156]"

و يبدو أن هذه الظاهرة الغنائية والموسيقية الراقصة هي، في الحقيقة، امتداد لموسيقا الغجر أو موسيقا الفلامنكو المعروفة عند الأندلسيين، وقد جاء بها الموريسكيون الذين استقروا بمنطقة الريف لتكون وسيلة للتسلية والترفيه من جهة، أو طريقة للتكسب من جهة أخرى.

ومن هنا، فلقد ظهر إمذيازان بمنطقة الريف بعد طرد الموريسكيين من الأندلس، واستقرارهم بمنطقة الريف ، ويسمى الذي يمارس هذا النوع من الرقص " أمذياز" (الفنان)، بينما المرأة تسمى

---

[155] - جمال أبرنوص: **الشعر الأمازيغي الريفي التقليدي بحث في النص والسياق**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية رقم 2017/52م، سلسلة بحوث ودراسات رقم 2017/20م، ص:197.

[156] - جمال أبرنوص: **الشعر الأمازيغي التقليدي بمنطقة الريف: جمع وتدوين وتعريب وتصنيف ودراسة**، ص:359.

"ثامذيازت"(الفنانة). ويعني هذا المصطلح أن أمذياز فنان راقص ومبدع شاعر . بيد أن إمذيازان قد خرجوا عن نطاق الفن المحترم ليحولوا شعرهم ورقصهم إلى وسيلة استجداء وارتزاق وتكسب، فنزلت مكانة الشاعر " أمذياز" إلى مهاوي الذل والحضيض؛ فأصبح منبوذا ومرفوضا في المجتمع الأمازيغي الريفي . ومن أسباب النبذ كذلك أن " إمذيازن" كانوا يعيشون في منطقة الريف في مداشر منعزلة خاصة بهم، وكانوا لا يهتمون بالعمل ولايتفانون فيه، بل كانوا يرتزقون بالفن والرقص والاستجداء، وينتقلون من منطقة إلى أخرى ، يحملون مزمارهم كالمغنين الطروبادور الذين كاهنوا ينتقلون بين إسبانيا وفرنسا بأدواتهم الموسيقية، وكانوا مولعين بالغناء الرومانسي. ومن ثم، فلقد كانوا منعزلين عن باقي المجتمع أيما انعزال؛ بسبب خصوصية عاداتهم وأعرافهم وتقاليدهم، وكان زواجهم داخليا ومغلقا على عادة اليهود. وكانوا لا يتصلون بالمجتمع إلا في حالة الاستجداء، وتنشيط الحفلات والأعراس، يشبهون في ذلك الغجر المنتشرين في الأندلس. ومن ثم، ترتبط صورة " أمذياز" ، في كثير من الأحيان، بالرجل الخامل والفنان المتكسب المتملق.كما تقترن صورة تامذيازت بالميوعة والخلاعة والدناءة الأخلاقية ؛ لأنها تستثير عواطف الحضور، ولاسيما في الحفلات والأعراس والمناسبات الوطنية والولائم . ومما زاد الطين بلة، أن تراجعت مكانة إمذيازان كثيرا في منطقة الريف في السنوات الأخيرة، وهمش فنهم تهميشا كبيرا، واستبدل بالفنون الغنائية العربية والأمازيغية المعاصرة .

ويستعمل " **إمذيازان**" الدف والغيطة والمزمار" الزمار"، والناي" ثامجا" في تقديم رقصاتهم الإيقاعية التي تؤديها جماعة من الراقصين والراقصات في شكل تناوبي، فينقسمون إلى فرقتين ، فيتم تشكيل عدة أشكال هندسية مدا وجزرا عن طريق التقابل

والتماثل والاستواء والدوران، مع ضرب الأرض ضربات معدودة انسجاما مع نغمات الأشعار وطلقات البارود. وغالبا، ما يقود هؤلاء الراقصون والراقصات شيخ " **مايسترو**" له تجربة ودربة كبيرة في مجال الرقص والغناء كالشيخ موسى بالنسبة لجماعة (**إمذيازن**) القاطنين بمدينة الناظور.

ومن هنا، تنتشر ظاهرة (**إمذيازان**) كثيرا في تمسمان، وبني توزين، وقبائل قلعية، وبني ورياغل.... وترتبط رقصة (إمذيازان) بقصائد (لالابويا)، وأشعار الحياة والهوى والعشق والمجون. كما تقتصر هذه الرقصة على إمذيازان، وثمذيازين، والإناث الشابات.

ويعرف الرقص الأمازيغي الريفي- حسب الباحث الأمريكي داڤيد مونتگمري هارت- " نوعين أساسيين من الحركة ومرحلتين متميزتين هما: " أيارا لا بويا" التي تتحرك خلالها الفتيات بشكل دائري في اتجاه عقارب الساعة أو عكس هذا الاتجاه، و "**أشظيح**". وتتميز الأولى بثني خفيف للركبتين يكاد لا يبدو للعيان. أما في المرحلة الثانية، فإن هذه الدائرة تنفتح تدريجيا لتصبح عبارة عن صف متعرج من الفتيات اللواتي يحركن أجسامهن بشكل جماعي متناسق على مستوى الخصر والصدر، مع تحريك شديد وسريع للجزء العلوي من الجسم خلال فترات محددة ووقفات منتظمة. وتحتفظ فتاتان فقط بدفيهما خلال هذه المرحلة، في حين تضعها الأخريات جانبا، ويأخذن بدلها مناديل الرأس التي يربطنها حول خصورهن ، حيث تسمح لهن بضبط إيقاع الحركة من جهة، وتوفر مكملا مرئيا يرافق حركة الجذع والصدر لتخلق مشهدا ينطوي على حمولة شهوانية إلى حد ما.

أما"**أشظيح** "، فيتميز بسرعة إيقاع مضاعفة مقارنة مع أيارا لابويا، وقد يرافقه ضرب على الدفوف من طرف شاب أو اثنين من

المتفرجين أو من طرف إمذيازان، أي الموسيقيين المحترفين من آيت توزين.

وما يبرز خلال هذه المرحلة هو موسيقا الضرب على الدفوف وحركات الجسم المتناسقة في غياب تام للغناء. ونظرا لتواجد كل راقصة وسط زميلاتها، فإنه يصعب على أية واحدة أن تقوم بحركة مغايرة للحركة الجماعية.غير أنه قد يحدث أن تنسل إحدى الراقصات، وهو أمر نادر على أية حال، لتبتعد عن المجموعة ولتظهر مهارتها الشخصية . لكن سرعان ما تفرض المجموعة نفسها على الثائرة، كما يقول بلانكو، وتلغي فردانيتها التي تعمدت إبرازها خلال تلك الفترة القصيرة"[157].

وعليه، فرقص إمذيازان رقص كوريغرافي غنائي شعبي غجري بامتياز، يختلط فيه الصوت النسوي مع الصوت الذكوري، ولا يختلف كثيرا عن رقص أحواش ورقص أحيدوس في صيغتهما الجماعية والهندسية . وينشط رقص إمذيازان كثيرا في المناسبات الدينية والأعياد الوطنية والولائم ومواسم الحرب والأعراس. ويستعمل إمذيازان الألبسة المغربية الأصيلة من جلباب، وعمامة، وبلغة، بينما تتزيى الراقصات بألبسة ريفية تحمل ألوانا مزركشة ناصعة .

المطلب الخامس: المجال العمراني

وفيما يتعلق بالمجال العمراني ، فلقد كان المسكن الريفي المربع ينفتح ، في عمومه ، على المستوى الهندسي، على فناء يسمى " رمراح" أو " الحوش"الذي كان يقوم بأدوار عدة مثل: التهوية،

---

[157] ـ داڤيد مونتگمري هارت: **آيت ورياغر**، الجزء الأول، ص:250.

وحماية الماشية، وفضاء للعمل والتجمع العائلي... ، أو ينفتح على غرسة أو بستان صغير يسمى بـ" ثاحويشت".

وتنفتح أبواب غرف المسكن الأمازيغي ونوافذها الضيقة إلى حد ما على الفناء باعتباره مصدرا للتهوية النظيفة، وتوفير الأكسجين الضروري لحياة الإنسان، وتنقية الغرف، وتطهيرها بأشعة الشمس الوهاجة، سواء أكانت دافئة أم محرقة. وتبلغ مساحة الفناء المفتوح عند الورياغليين بالحسيمة مثلا" تسعة أمتار في عشرة. يصل علو الباب الرئيسية أو الخارجية حوالي مترين ونصف، وعرضها نحو متر وثمانين سنتمترا ، والتي تتموقع دائما في الجانب المعاكس لاتجاه هبوب الرياح بشكل مستمر، كما أنها تنفتح مباشرة على الفناء."[158]

وقد يوجد على أطراف الفناء المفتوح عتبات للجلوس، أو شريط من جرار الماء المصطفة (أقبوش/إقوباش)، أو أدوات معلقة على الجدران مثل: السلال، و أكوام متسلسلة من البصل أو التين المعلق، علاوة على الأكياس ، و مصنوعات القش ، خاصة ما يسمى عند الريفيين " أندو". بالإضافة إلى الجرار المعلقة المخصصة للزبدة، والزيت، والعسل....

أما الجدران، فتبنى بواسطة الحجارة الثقيلة المختلطة بالطين، والتراب، والتبن، مع خلط كل ذلك بالأسمدة وروث الأبقار. وغالبا، ما يكون حجم الجدار سميكا جدا، ويتم رصه بشكل منظم ومتدرج للحفاظ على تماسكه، واتساقه، وانسجامه، وترابطه.

ويضم المسكن الأمازيغي مجموعة من الغرف المحددة الوظائف كمكان الحمام " أرشان"، أو مكان الطهارة" ثامطهارث"الذي

---

[158] ـ دايفيد مونتكمري هارت: نفسه، ص:47.

غالبا ـ ما يوجد في غرفة النوم، أو غرفة الأسرار، إلى جانب بيت الضيوف الذي يسمى " أروان"، أو **"ربيت ءيناوجيوان"** . و يكون هذا البيت بمثابة صالون واسع وأنيق ، ويكون مكسوا بالزرابي والأغطية والحصائر و"الهيدورات" المصنوعة من جلود الماشية.

وغالبا، ما يكون لبيت الضيوف نوافذ واسعة ومتعددة، ولكن بباب مستقلة خاصة ضيقة، يدخلون منها ويخرجون لكي لا يطلع الضيوف على خبايا المسكن وأسراره الداخلية، ولكي لا يروا كذلك عورات النساء و مفاتن بناتهن. ويقول دافيد هارت عن بيت الضيوف بأنه" أحد أبرز الرموز المرئية التي تدلنا على مقام صاحب المنزل ووضعه الاجتماعي، حيث يتوفر القبليون ذوو الموارد المتواضعة على دكات بسيطة منخفضة للجلوس تحيط بجدران الغرفة، في حين يملك الأغنياء وسائد مزركشة وملونة وبطانيات وستائر حائطية، وكلها من الأثاث الذي لا يصنع محليا. تتوفر غرفة الضيوف على نافذتين أو ثلاث تفوق في اتساعها باقي نوافذ المنزل. يملك كل فرد مهما بلغ فقره طقم شاي، إلا أن أباريق وصينيات وكؤوس الأغنياء والأعيان تبقى دائما أغلى وأكثر زخرفة وتنميقا."[159]

وهناك غرفة أخرى توجد بها طاحونة، أو رحى يدوية "ثاسيرث" توظفها النساء لطحن الحبوب. ويمكن الحديث عن مطبخ العائلة لتحضير الطعام والمأكولات والمشروبات، و غرفة " أسقيف" لاجتماع أفراد الأسرة لتبادل أطراف الحديث ، ومناقشة المواضيع التي تهم العائلة، سواء من قريب أم من بعيد.

[159] ـ دايفيد مونتكمري هارت: نفسه ، ص:47.

ويوجد خارج المسكن الأمازيغي الريفي مجموعة من المرافق المساعدة لما هو في الداخل ، مثل: وجود مواقد متنوعة مكملة للمطبخ مثل" ثاينورث" أو" ثافقونت"، وهي بمثابة أفران تقليدية لطهي الخبز في شكل حفرة مقعرة مبنية بالطوب والطين، في قاعها حجارة صلبة وصلدة صالحة لكي يوضع فوقها العجين. ويوضع الحطب في الموقد للطهي، وقد يغلق الموقد من أجل توفير حرارة الطهي والاشتعال. وقد تستعمل لوحة خشبية ممدودة من أجل إخراج الخبز بعد عملية الطهي (مطرح خشبي) . وغالبا، ما تكون هذه المواقد مثبتة في الأرض، أو تبنى بالحجارة والطوب والطين ، وقد تكون صغيرة الحجم بفوهة واحدة ، أو قد تكون كبيرة لها موقد سفلي، ومطرح علوي، وفوهات متعددة.

كما يوجد خارج المسكن معصرة لاستخراج زيت الزيتون بواسطة معصرة تقليدية . فضلا عن مكان لجمع التبن يسمى بـــ" أثمون"، ومكان لجمع القمح يسمى بـــ"أندرا". وتوجد كذلك مسارب المياه التي تمتد من داخل المنزل إلى خارجه ؛ حيث توجد حفرة كبيرة لتجميع هذه المياه، أو تضييعها في أمكنة سهبية ضائعة، أو تسريبها في أمكنة صحراوية جدباء، أو قد تسيل هذه المياه نحو البحر، والعيون، والأنهار، والوديان.

ويوجد خارج المسكن الأمازيغي أيضا مكان لتجميع الأسمدة وروث البهائم لتوظيف ذلك في الزراعة ، وتخصيب أحواض الخضر والفواكه والتوابل . وثمة أيضا ما يمكن تسميته بالمزابل، أو قمامات النفايات ، وهي إما خاصة بأفراد معينين ، وإما عامة متعلقة بالجماعة، أو القبيلة، أو الدوار، أو المدشر ، أو العشيرة، أو الكانون. وتشمل هذه المزابل فضلات الطعام والمشروب بكل أنواعهما . وتحوي أيضا بقايا روث الماشية وبعرها ، وتجمع كذلك

مجمل بقايا ما تجتره الحيوانات من طعام لدى الأبقار والماشية ، وما تطرحه الدواب كالحمير، والبغال، والخيول، والأحصنة . وكلما كانت المزبلة " ثازوباشت" كبيرة جدا إلا ودل ذلك على غنى صاحبها جاها ونعيما وسلطة وامتيازا، وعبرت عن ثراء الأسرة ماديا واجتماعيا. وفي هذا السياق، يقول الباحث المغربي محمد أقضاض:" أما خارج المنزل فلابد أن تظهر القمامة" مزبلة" تجمع فيها النفايات خاصة روث القطيع الذي يستعمل حين يجف لإنضاج الخبز في " فرن" من الطين يبنى في الغالب خارج المنزل في الجهة المقابلة للمزبلة. تستعمل المزبلة في تسميد الأرض، وكل ما كانت المزبلة كبيرة كلما دلت على مستوى غنى الأسرة، لذلك كان الخاطب أو الخاطبة إذا أراد الزواج من عائلة ما أن ينظر إلى حجم المزبلة. وقرب المنزل يوجد دائما بستان مسيج بالحجارة ثم بأشجار الصبار الكثيفة"[160].

يسيج الأمازيغيون في منطقة الريف مساكنهم ومنازلهم بأسوار عالية، في حالة الحديث عن بعض القصور والقصبات كقصبة سلوان التي بناها بوحمارة أو الجيلالي الزرهوني،أو يسيجونها بأسوار متوسطة تارة، أو أسوار قصيرة تارة أخرى.

ويعتبر السياج إما جدارا مبنيا بالطين والتراب ، أو مبنيا بالحجارة والإسمنت والصخور(ءاكركور)، وإما يكون جدارا سلكيا يحيط بكافة الأراضي التابعة للمسكن، وإما يكون جدارا نباتيا في شكل بساتين مزروعة أو غير مزروعة ، أو بمثابة منازل محاطة بالصبار الشائك، و أشجار الزيتون والتين والكروم واللوز. وفي هذا الصدد، يقول محمد أقضاض:" غير أن الريفي في جل مراحل

---

[160] - محمد أقضاض:**الاحتراق والتوهج، الريف بين1860و1920**، مطبعة الجسور، وجدة، المغرب، الطبعة الأولى 2001م، ص:150.

حياتـه كـان يقنـع باكتفائـه الـذاتي، ويعتمـد هـذا الاكتفـاء الـذاتي علـى شـظف العـيش وخشـونته، ينتـزع الريفيـون عيشـهم مـن زراعـة الحبـوب، خاصـة الشـعير وبعـض القطـاني علـى رأسـها الفـول والجلبـان، وقليلا مـا يزرعـون القمـح والـذرة. وفـي بعـض البسـاتين الضـيقة علـى ضـفاف الأنهـار كـانوا يغرسـون البطـاطس واليقطـين والبصـل، أمـا الأشـجار المثمـرة فتشـكل أحيانـا سـياجا لبسـاتينهم المحاطة بجدران سميكة من الأحجار والصخور، ولكن فـي الأغلـب تغرس معلقة في منحدرات الجبال، يختـارون أكثرهـا تحمـلا للجفـاف وأكثرها ضربا بجذورها في أعماق الأرض، من مثل أشـجار التـين والعنب والزيتون واللوز والمشمش والبرقوق."[161]

وغالبـا، مـا يتـراوح طـول السـور الخـارجي للمسـكن " بـين خمسـة عشر مترا في خمسة عشر إلى عشرين مترا. أمـا علـوه من الأرض إلى السقف، فهو ما بين ثلاثة أمتـار ونصـف وخمسـة أمتـار. غيـر أن هذا العلو يتغير حسب نسبة انحدار موقع المنزل. ويبلغ سمك الحـائط عند الأساس ثمانين سنتمترا وفوقه خمسين سنتمترا."[162]

ويمكن الحديث أيضا عن منازل ومسـاكن ريفيـة أخـرى لا سياج لهـا سوى أبوابهـا ونوافذها المقفولـة مـن حـين لآخـر. بيـد أن التسـييج فـي الحقيقة يعبر لدى الريفيين على الحيازة والتملك الشخصـي، كمـا يـدل على فلسفة الاحتماء والتحصين والسيادة.

ومـا يلاحـظ علـى المسـكن الأمـازيغي أيضـا أنـه مـرتبط سيكولوجيا، واجتماعيـا، وقيميـا ، بشـعور الوحـدة والخـوف وعـدم الأمـان. فضـلا عـن قـيم دينيـة فاضـلة أخـرى كـالتعفف، والوقـار، والحفـاظ علـى الشـرف، وصـون كرامـة الأسـرة. لـذا، فهـو يتسـم بطـابع الضـيق

---

161 ـ محمد أقضاض:**الاحتراق والتوهج، الريف بين1860و1920**، ص:132.

162 ـ دايفيد مونتكمري هارت: نفسه، ص:47.

والتحصين والانغلاق والتستر والانعزال من جهة. ويتميز بكونه فضاء للنضال والمقاومة والأخذ بالثأر من جهة أخرى.

ويتجلى تأثير السكن الموريسكي واضحا في بناء مدينة مليلة، أو مليلية، أو روسادير قديما؛ حيث " لايخفى الطراز المعماري الأندلسي في تحصينات مليلة التي أصبحت منذ هذا التاريخ مدينة مسورة بسور حجارة على عكس أسوار نكور المتخذة بالطوب واللبن.ولتوفير أعلى درجات الأمن للولاة المؤتمرين بقرارات الخلافة الأموية، أنشئت في داخلها قصبة مانعة إمعانا في حمايتها مما قد ينشب بداخل مليلة من ثورات للعامة ضد سلطات المدينة."[163]



مدينة مليلية بأسوارها

ويعني هذا أن مدينة مليلية قد حصنت بأبراج وأعمدة قوية على غرار التحصينات الأندلسية المانعة والحامية. وينطبق الشيء نفسه

---

163 - أحمد الطاهري: نفسه، ص:231.

على **قلعة تازوطة** التي تعد من أمنع معاقل المغرب، وتشبه القلع الأندلسية والموريسكية. وقد شيدت القلعة في عهد المرينيين، وأعيد بناء المدينة من جديد من قبل قائد غرناطي موريسكي من مملكة فاس.



قلعة تالوطا بالناظور

وكانت بالريف الشرق كدية بيضاء تسمى **بمدينة غساسة** (إخساسن) كانت تابعة لأمارة النكور إلى جانب تازوطا. وكان لها ميناء تجاري مهم، وبمينائها نزل أبو عبد الله الصغير آخر ملوك بني نصر، بعد سقوط غرناطة سنة 1492م.وبعد سقوط مليلية في أيدي الإسبان، تحولت أنظارهم لاحتلال غساسة سنة 1506م. بيد أن حركة المقاومة قد استطاعت أن تحررها من العدو الأجنبي. وقد خربت المدينة بعد التهديد المسيحي الإسباني المتكرر للمنطقة ، وقلة مداخيل الميناء.



مدينة غساسة الأثرية



المآثر التاريخية من مدينة غساسة

المبحث الخامس: آثار الموريسكيين في منطقة الريف

لم يترك الموريسكيون بمنطقة الريف ما يدل على آثارهم بشكل كبير وواضح وجلي مقارنة بما تركوه بتطوان، وشفشاون، وطنجة، والعرائش، وفاس، ومكناس، وسلا، والرباط، ومراكش...؛ بسبب انعزال الريفيين من جهة أولى، وعدم قدرة المنطقة على استيعابهم من جهة ثانية، وتوالي سنوات الجفاف والجوع والأوبئة والأمراض على المنطقة من جهة ثالثة. ناهيك عن هجرة أغلب الموريسكيين إلى وسط المغرب وجنوبه وشماله ؛ حيث الحياة الزاهرة، والحضارة الزاهية، والمدنية المنفتحة على عكس منطقة الريف التي كانت منغلقة على نفسها، وساكنتها منعزلة عن بعضها البعض، يتبعثرون فوق قمم الجبال التي يصعب الوصول إليها.

أضف إلى ذلك أن عدد الموريسكيين الذين وفدوا إلى منطقة الريف الشرقي ، مثلا، لايتعدى ألفين من الموريسكيين، وقد جاؤوا في صحبة الملك الغرناطي .وبعد ذلك، هناك من رافقه إلى فاس غربا. ويعني هذا أن منطقة الريف لم تكن جذابة للموريسكيين مقارنة بشفشاون، وتطوان، وطنجة، وأصيلا، وفاس، وسلا، والرباط، ومراكش؛ بسبب غلبة البداوة والانعزال على هذه المنطقة بشكل كبير...

ويعني هذا كله أن تأثير الموريسكيين في أمازيغ منطقة الريف كان تأثيرا قليلا وباهتا يمس فقط بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والدينية، ولايمس الذهنية أو العقلية الأمازيغية، أو يمس الجوانب الثقافية والعلمية والحضارية الكبرى، كما يبدو ذلك واضحا في المدن المغربية الأخرى كفاس، ومكناس، والرباط، وسلا، ومراكش، ومدن الشمال الغربي، ولاسيما شفشاون وتطوان. ويعني هذا أيضا أن منطقة الريف لم تكن جذابة أو مغرية للمهاجرين

الموريسكيين، بل إن الريفيين أنفسهم قد غادروا المنطقة وهاجروها إلى الجزائر من جهة، أو إلى المدن المجاورة من جهة أخرى. ومازالت عقلية الريفيين، إلى يومنا هذا، عقلية متزمتة وانطوائية ومنغلقة ، لاتريد لنفسها الانفتاح على الآخرين، بل يلتجئون، دائما، إلى سياسة الحذر والاحتياط والتخوف من الآخر أو الغير. وبهذا، يلتجىء الريفيون إلى سياسة المقاومة والممانعة والرفض تجاه أي انفتاح أو تغيير مجتمعي[164].

وخلاصة القول، يتبين لنا ، مما سلف ذكره، أن منطقة الريف قد عرف هجرات متعددة للأندلسيين والموريسكيين على حد سواء، بيد أن تأثيرهم في المنطقة كان تأثيرا باهتا وضعيفا وضحلا، وكان يمس الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والدينية فقط، ولم يمس العقلية والعلم والثقافة. والسبب في ذلك أن منطقة الريف لم تكن منطقة جذابة ومغرية للموريسكيين . ناهيك عن توالي سنوات الجفاق في المنطقة، وهجرة أغلب الريفيين إلى الجزائر من جهة، وإلى مدن المغرب الزاهية من جهة أخرى.

---

164 ـ انظر ثقافة المقاومة في المجتمع الريفي بالعودة إلى عبد الرحمان الزكريتي: **ثقافة المقومة بالريف**، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2016م.

الخاتمة

وخلاصة القول: تلكم نظرة مقتضبة إلى هجرة الأندلسيين إلى ثغور الريف الأوسط والريف الشرقي ، بعد المحنة الأندلسية الكبرى التي تمثلت في طرد معظم الأندلسيين والموريسكيين من إسبانيا، وخاصة بعد انعقاد محاكم التفتيش المسيحية لإجبار المسلمين على التنصير أو التهجير. لذا، اختار المسلمون الأندلسيون الهجرة القسرية متجهين نحو ثغور الريف، فاستقروا بين أهالي الريف مندمجين في مجتمع واحد، ثم تعلموا أمازيغية الريف بشكل متدرج جيلا عن جيل، فوقع بينهم تأثر وتأثير، وانصهار اجتماعي وعائلي وأسري.

بيد أن ما يلاحظ على الهجرة الأندلسية إلى المغرب أن استقرار المهجرين الموريسكيين بالريف كانت أقل بكثير من استقرارهم بالمدن المغربية الأخرى، كفاس، ومكناس، وتازة، وسلا، والرباط، وتطوان، وشفشاون، وطنجة، وأصيلا...

ويلاحظ كذلك أن المعلومات التاريخية المتعلقة بالهجرة الأندلسية نحو الريف مازالت ضئيلة جدا. لذا، يجد الباحث والمؤرخ معا صعوبات جمة ، حينما يلتجىء إلى التأريخ والتحقيب والتصنيف والاستقراء والاستنتاج؛ بسبب غياب الوثائق والمعطيات التاريخية، سواء أكانت مكتوبة أم مروية.

وعليه، فمازالت آثار الأندلسيين الموريسكيين في منطقة الريف ناقصة وباهتة وغير واضحة إلا ما يتعلق بالميادين المادية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، لكن ما يتعلق بالعلم والثقافة والحضارة والعقلية، لم نجد لذلك بصمات فاعلة وواضحة ودامغة، بل مازالت ذهنية الريفيين منغلقة ومادية الطابع، ولم نجد فيها تلك

الحضارة والمدنية الزاهية المتطورة في مدن أندلسية أخرى كشفشاون، وتطوان، وطنجة، وأصيلا، والرباط، وسلا، وأنفا، ومراكش...

وعلى العموم، لم تكن منطقة الريف لها جاذبية كبرى في استقطاب الأندلسيين الموريسكيين، بل غادروها إلى تلمسان، وفاس، ومناطق أخرى. ويمكن القول لم تكن منطقة الريف أنسب ، إلى يومنا هذا، حتى لأهلها الذين غادروها مرات ومرات متعددة إلى الجزائر من جهة أولى، ومدن الشمال من جهة ثانية، ومدن الغرب من جهة ثالثة، ودول العالم من جهة رابعة.

ثبت المصادر والمراجع

المصادر العامة:

1- ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، بيروت، لبنان، طبعة 1994م.

2- ابن عبد الحكم: **فتوح أفريقية والأندلس**، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت، لبنان، طبعة 1964م.

3- ابن عذاري: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، نشر كولان بروفنسال، بيروت، لبنان، طبعة طبعة 2،1980.

4- ابن كثير: **البداية والنهاية** ، تحقيق عبد الرحمن اللاذقي ومحمد غادي بيضون، بيروت، لبنان، طبعة 2002م.

5- ابن الكردبوس: **قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ضمن كتاب تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط**، تحقيق أحمد مختار العبادي، مدريد، إسبانيا، طبعة 1971م.

6- أحمد التلمساني المقري: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، الجزء الرابع، بيروت، لبنان، طبعة 1968م.

7- البكري: **المسالك والممالك**، الجزء الخاص ببلاد المغرب، تحقيق: زينب الهكاري، مطبعة رباط نيت، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى 2012م.

8- الحاج العربي الورياشي: **الكشف والبيان عن سيرة بطل الريف الأول سيدي محمد أمزيان** ، المطبعة المهدية، تطوان، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1976م.

9- الحسن بن محمد الوزان الفاسي: **وصف أفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة سنة 1983م.

10-عبد الحق بن إسماعيل البادسي: **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**،تحقيق: سعيد أحمد أعراب،المطبعة الملكية بالرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1982م.

11-عيسى البطوئي: **مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح**، موجود بالخزانة الحسنية بالرباط، رقم المخطوط: 2613.

12- مؤلف مجهول: **أخبار مجموعة فى فتح الأندلس، وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم**، تحقيق : إبراهيم الأبياري، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 1981م

13- مؤلف مجهول: **نبذة العصر فى أخبار ملوك بنى نصر**، تعليق الفريد البستاني، مكتبة الثقافية الدينية، بورسعيد مصر ، الطبعة الأولى 2002م.

14- المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباسن بيروت، لبنان، طبعة 1968م.

المراجع باللغة العربية:

15- إبراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ**، الجزء الأول، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، طبعة 2000م.

16- أحمد الطاهري: **بلاد الريف وحاضرة نكور**، مطبعة بوبليديسا، إشبيلية، إسبانيا، الطبعة الأولى سنة 2013م.

17- أحمد الطاهري: **ابن دراج القسطلي شاعر الأندلس ولسان الجزيرة الأمازيغي الأصول**، منشورات تيفراز 8، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،الطبعة الأولى 2010م.

18- برومي عبد الوهاب ويوسف السعيدي: **إقليم كرت: التاريخ والثقافة**، مكتبة الشيخ حسن، وجدة، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2009م.

19- تاريخ المغرب، تحيين وتركيب، إشراف وتقديم محمد القبلي، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، المغرب، طبعة 2012م.

20- جرمان عياش: **أصول حرب الريف**، ترجمة محمد الأمين البزاز وعبد العزيز التمسماني خلوق، نشر SMER ، الدار البيضاء،المغرب، طبعة 1992م.

21- جمال أبرنوص: **الشعر الأمازيغي الريفي التقليدي بحث في النص والسياق**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية رقم 2017/52م، سلسلة بحوث ودراسات رقم 2017/20م.

22- جمال عبد الكريم: **الموريسكيون: تاريخهم وأدبهم**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، مصر، د.ت.

23- جميل حمداوي: **المقاومة الأمازيغية عبر التاريخ**، منشورات المعارف، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2013م.

24- الحسين السايح: **الحضارة المغربية**، الجزء الثالث، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2000م.

25- حسن الفكيكي: **المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلية**، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1997م.

26- دايفيد مونتكومري هارت : **آيث ورياغل**، الجزء الثاني، ترجمة: محمد أونيا وعبد المجيد عزوزي وعبد الحميد الرايس،

منشورات جمعية صوت الديمقراطيين المغاربة بهولندا، طبعة 2010م.

27- رشيد يشوتي: **إسبانيا والريف والشريف محمد أمزيان (1909-1912م)**، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي- جامعة محمد الخامس السويسي الرباط،طبعة 2011م.

28- الطيب بوتبقالت: **عبد الكريم الخطابي، حرب الريف والرأي العام العالمي**، منشورات شراع، طنجة، رقم الكتاب الشهري 14، أبريل 1997م.

29- عبد الرحمان الزكريتي: **ثقافة المقومة بالريف**، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2016م.

30-عبد الرحمن الطيبي: **الريف قبل الحماية**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2008م.

31- عبد العزيز خلوق التمسماني: **مقالات ووثائق حول تاريخ المغرب المعاصر**، منشورات سـليكي إخوان، طنجة، المغرب.

32- عز الدين المناصرة: **المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب**،دار الشرق، عمان، الأردن، الطبعة الأولى،1999م.

33- علي الإدريسي: **عبد الكريم الخطابي، التاريخ المحاصر**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2007م.

34-علي محمد محمد الصلابي: **صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي**، دار الفجر للتراث، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى سنة 2005م.

35- غييرمو غوثالييبس بوستو: **الموريسكيون في المغرب**، ترجمة: مروة محمد إبراهيم، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى سنة 2005م.

36- غيرمو غوثالبيس بوستو: **المنظري الغرناطي مؤسس تطوان**، ترجمة: ممدوح البستاوي، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، طبعة 2007م.

37- محمد أقضاض:**الاحتراق والتوهج، الريف بين1860و1920**، مطبعة الجسور، وجدة، المغرب، الطبعة الأولى 2001م.

38- محمد أونيا: **عبد الكريم الخطابي وأسطورة الانفصال (1921-1926م)**، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2018م.

39- محمد بن عنان: **أندلسيات،** كتاب العربي، الكويت، الكتاب العشرون،الطبعة الأولى بتاريخ 15يوليوز1988م.

40- محمد داود: **عائلات تطوان**، مراجعة وتحقيق وإضافات حسناء محمد داود، منشورات جمعية تطاون أسمير، سلسلة تراث 18، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2016م.

41- محمد رزوق: **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17**، أفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الثالثة، سنة1998م.

42- مصطفى الغديري: **الريف موضوعات وقضايا**، مطبعة جسور، وجدة، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2009م.

43- محمد قشتيليو: محد قشتيليو: محنة **الموريسكوس فى إسبانيا،** الطبعة الأولى سنة 1980م.

44- المفتوحي أحمد بوقرب: **منطقة الحسيمة عبر التاريخ**، الجزء الأول، مطبعة الخليج العربي، تطوان،المغرب، الطبعة الأولى سنة 2013م.

المراجع باللغة الأجنبية :

45-M.Ravillard : **Bibliographie commenté des Morisques**, Université d’Alger, 1979.

المقالات:

46- جميل حمداوي:(هجرة الأندلسيين إلى منطقة الريف من المغرب الأقصى)، **مجلة التاريخ العربي**، المغرب، العدد58، خريف 2011م.

47- محمد القاضي: (مظاهر الحضارة الأندلسية في شفشاون)، **مجلة التاريخ العربى،** الرباط، المغرب، العدد58، خريف2011م.

48- محمد بن عبود: (الموريسكيون في نهاية عهد دول الطوائف من خلال النصوص التاريخية الأندلسية)، **مجلة البحث العلمي**، الرباط، المغرب، العدد35، سنة 1985م.

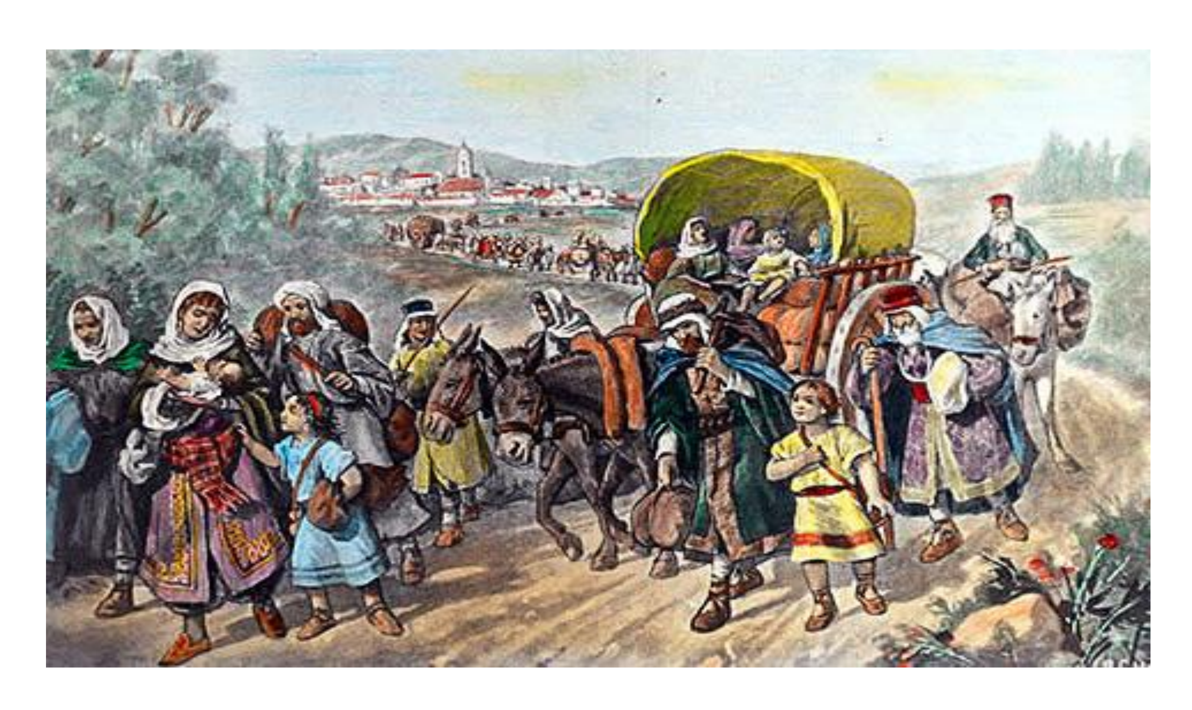
49- مصطفى رمضاني: (بعض الظواهر الشعبية ذات الطابع الدرامي في المنطقة الشرقية من المغرب)، **مجلة جمعية تاريخ المغرب**، وجدة، المغرب، العدد1يونيو 1993م.

50- نجيب الجباري: (الموريسكيون في المغرب من خلال الدراسات الإسبانية)، مجلة **التاريخ العربي**، الرباط، المغرب، العدد58، خريف2011م.

بحوث الإجازة:

51- محمد بودهان: **الزفانة بإقليم الناظور**، بحث لنيل الإجازة في علم الاجتماع، فاس، المغرب، الموسم الجامعي1975-1976م.

ملحق صور الموريسكيين



صورة التهجير القسري



صورة تعذيب الموريسكوس





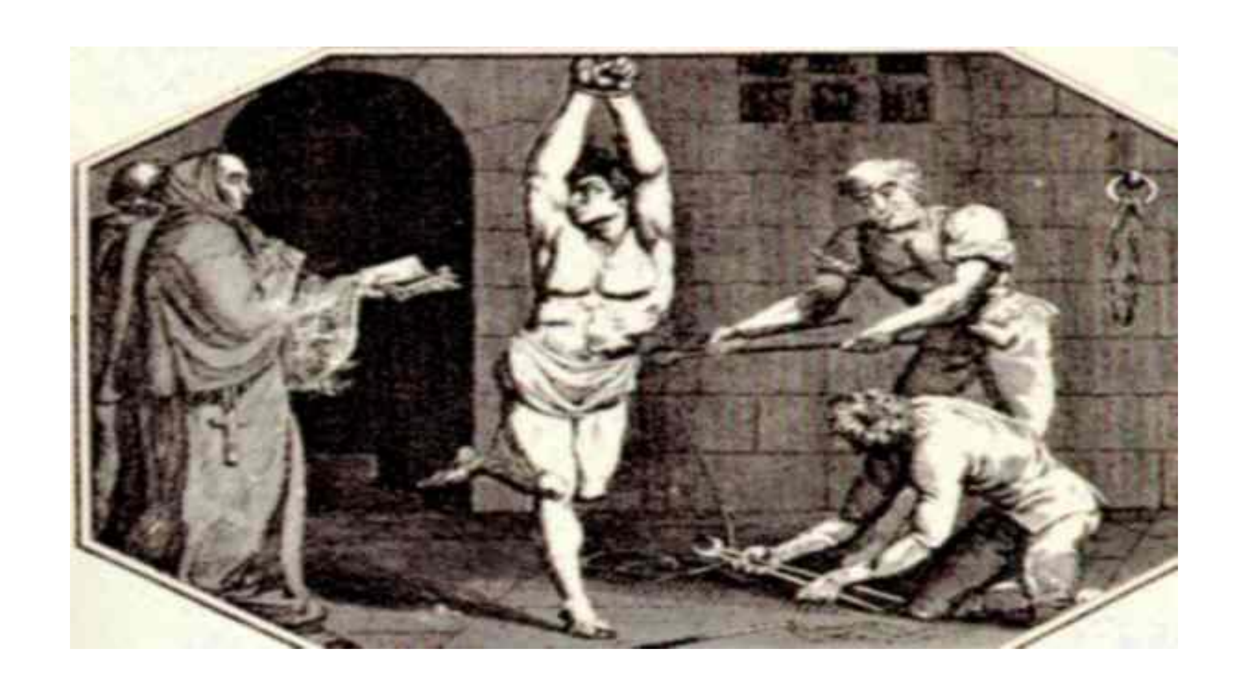

105
Allso zeucht der morisgk mit weyb vnnd
Kindt über lanng Oder In seinen lust
garten auss der stat granado dan sy vill
hipscher gerten hand mit allerlai
frucht vnd selzam
106
Allso zeucht die frau mit Irem man
vnnd Kindt über landt




Lit.-Felipe Gonzalez Rojas - Editor
EXPULSION DE LOS MORISCOS DE ESPAÑA









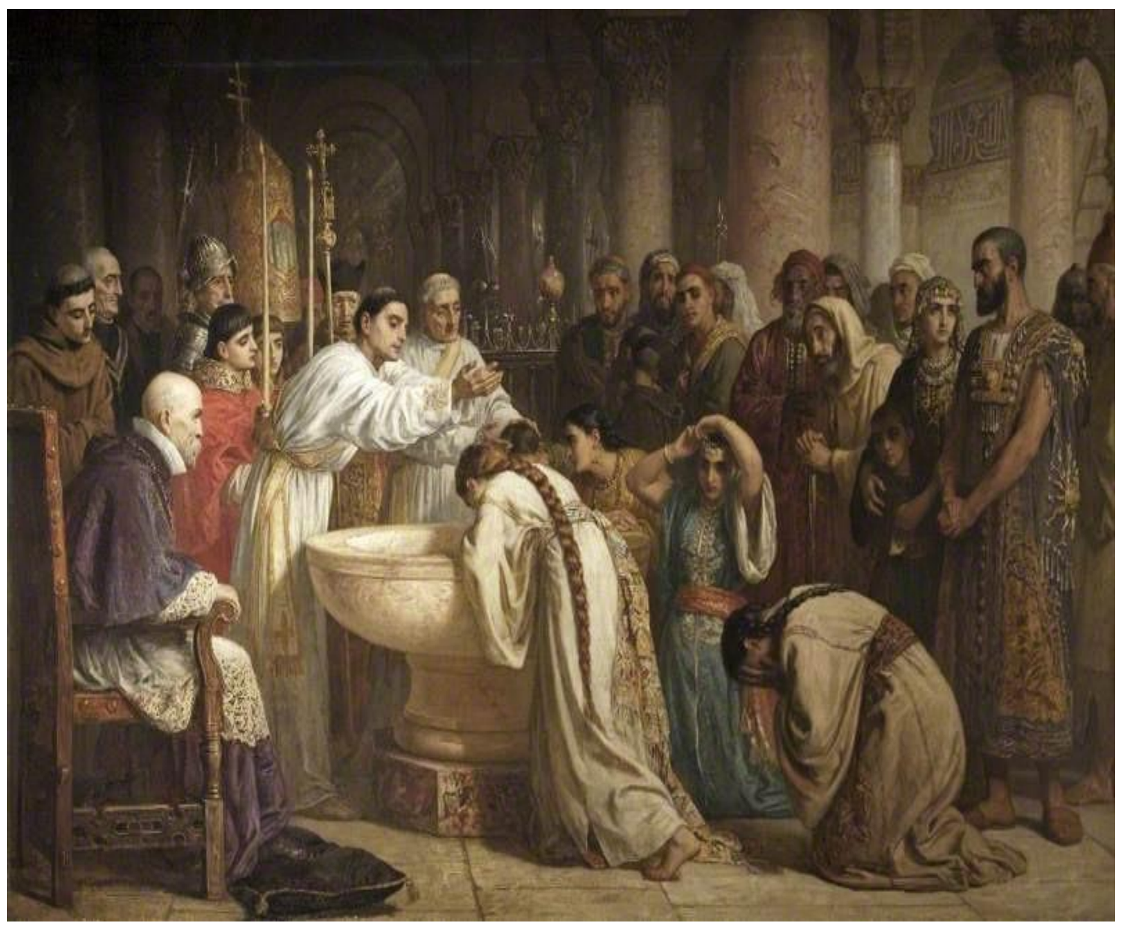

LA MAIOR PARTE
DELOS MOROS DELREINO DE
VALẼ PVERÕ DESENBARCADOS
ENEL PARAJE DE ORAN PARA YR
A FES Y MARRVECOS PEROLOS
BES LES SALIAN ALCAMINO Y LES
ROBAVAN Y MATAVAN Y FOR
SAVAN LAS MVJERES
Y LOS DEMAS FVERÕ A
TVNES Y TETVAN.
HALLOSE POR LOS
GISTROS DE LAS DVANAS
DE LOS QVATRO COMISARIOS
GENERALES QVE PASARÕ DE SIETO
Y CINQVENTA MIL. LOS QVE SEN
BARCARON PARA BERBERIA
SIN LOS QVE MATARÕ Y QVEDARON
ENEL REINO VIVOS Y MVERTOS
QVE PASARON D MIL
MARVECOS.
FES.
ORAN.

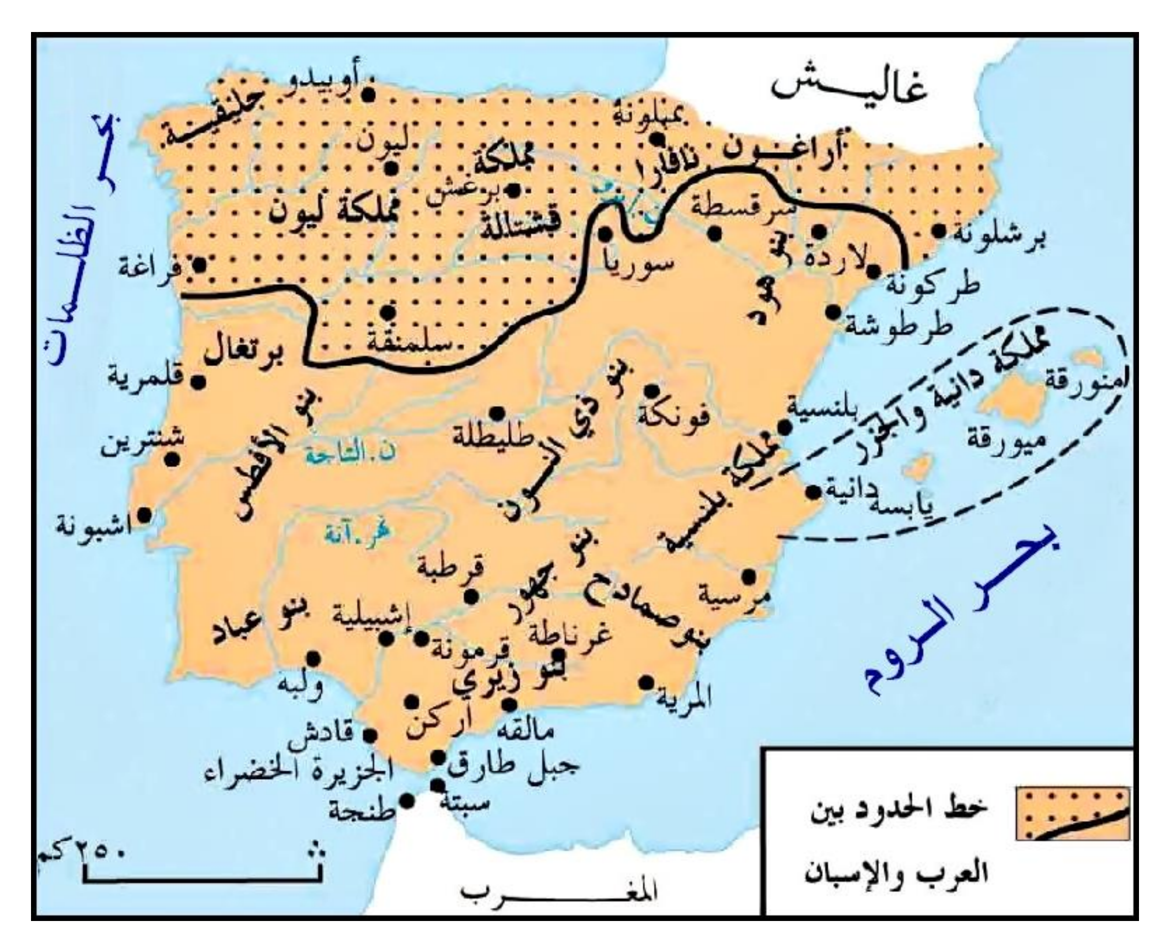


كتابة

كتابة الإلخميادو التي التجأ إليها الموريسكيون


LOS MORISCOS DE LA EX
PVLCION. ENBARCADOS EN EL
GRAV. DE VALENCIA. QVE VOLVN
TARIAMENTE QVISIERON PAGAR
EL FLETE. ASISTIENDO. EL S VAZIE
RO DEL REAL CONCEJO. FVERON QVN
CE MIL. SEISIENTOS I OVNCE I LOS
NIÑOS QVE AVIAN QVEDADO
CO LOS GRANDES FVERON
22.86
LOS MORISCOS. REVE
LADOS. DE LA. SIERRA. DE
CORTES QVE LES. HIZIERON. VE
NIR POR CONCIERTO. AL GRAV. FVERON
TRES MIL. QVATROCIENTOS NOVENTA
Y DE LOS REVELADOS, QVE POR
DON GARCIA BRAVO. BAXARON
A ENBARCAR ILOS QVE. ALLO NPOR
EL REINO. QVE LOS TENIAN.
POR CAPTIVOS FVERON
1903
EL GRAV
MARQVES
DE CARACEN
VIREI.




غاليـــش
أوبيدو
جليقيــة
ليون
مملكة
بنبلونة
أراغـــون
نافارا
برغش
مملكة ليون
قشتالة
سرقسطة
لاردة
برشلونة
طركونة
طرطوشة
سوريا
فراغة
سلمنقة
برتغال
قلمرية
شنترين
اشبونة
طليطلة
فونكة
بلنسية
منورقة
ميورقة
مملكة دانية والجزر
مملكة بلنسية
دانية
يابسة
بحــر الظلــمات
بحـــر الـــروم
بنو الأفطس
بنو ذي النون
قرطبة
بنو جهور
إشبيلية
بنو عباد
قرمونة
غرناطة
بنو زيري
بنوصمادح
مرسية
المرية
وليه
أركن
مالقه
قادش
جبل طارق
الجزيرة الخضراء
سبتة
طنجة
المغـــــرب
٢٥٠ كم
خط الحدود بين
العرب والإسبان


مملكة نافار
مملكة أراغون
مملكة ليون وقشتالة
مملكة البرتغال
مملكة غرناطة



الغلاف الخارجي:

لقد نزح الكثير من الأندلسيين والموريسكيين واليهود نحو بلدان المغرب العربي، ومصر، والشام، والأستانة عاصمة الدولة العُثمانيَّة، وفرنسا، وإيطاليا، وبعض دول أمريكا اللاتينية كالبيرو والمكسيك. في حين، توفي الكثير منهم بسبب مشقة السفر، وأهوال البحر، وتعنت المحاربين النصارى، وأيضا بسبب التنكيل الذي تعرضوا له من قبل قطاع الطرق. كما اتجه الكثير منهم حيال الثغور والمدن المغربية كتطوان، وطنجة، وأصيلة، والقصر الكبير، والعرائش، وشفشاون، وسبتة، والقصر الصغير، وفاس، ومكناس، وسلا، والرباط، ومراكش، وآسفي، وأزمور، وأنفا... كما هاجروا إلى منطقة الريف التي تشمل اليوم أربعة أقاليم كبرى هي: مليلية، والحسيمة، والناظور، والدريوش، أو تشمل - جغرافيا- الريف الشرقي، والريف الأوسط، والريف الغربي. ومن ثم، فلقد اختاروا الاستقرار بالخصوص في مليلية، وبادس، وغساسة، وقبائل غمارة.

الثمن:30درهما